١٠٥

روايات أحلام

نجمة في سراب

www.elromancia.com

مرمورية

روايات أحلام

نجمة في سراب

«احذري ذرات الغبار اللامعة.. إنها تعمي العيون، وتتسلل من بين الأصابع..».

كانت ماندي تحبّ جوناس بارسلي، والحب شأن من شؤون القلب الخاصة، لذا لن تسمح لأحد بمن فيهم والدها أن يعطي رأيه في عواطفها، فكيف إذا كان من يتدخل رجلاً غريباً عنها كلياً؟؟

- لا أفهم، سيد هاوسلي، لماذا يهتم شخص نافذ مثلك بشؤون فتاة عادية مثلي، ولكنني أريد منك الابتعاد عني فلا مكان لك في حياتي..

- أنا لا أستسلم بسهولة آنستي، وأحصل عادة على ما أريد..

هكذا أوضح كلٌّ منهما موقفه، فهل يعترف واين هاوسلي بحق ماندي في الاختيار، أم يستخدم القوة لفرض إرادته؟

www.dramanda.com

١ ـ ظل تحت القمر

الأصوات المتحمسة والرنين المرتفع للغيتار الكهربائي كانت تقاوم لتشيع جواً من البهجة لكن ماندي لارج وجوناس بارسلي، كانا يواجهان بعضهما في تلك اللحظة على شرفة الفندق المظلمة. الاثنان جميلا الطلعة، لكن بينما كان جوناس طويل القامة نحيل الجسم، يحني كتفيه بغضب وفمه الحساس يلتوي بتوتر، كانت ماندي تقف صغيرة الجسم منتصبة، بطريقة أشبه ما تكون بالملكية، لولا لمعان الدموع الخفيف في عينيها الكبيرتين ذاتي اللون الأزرق المائل إلى الليلكي. لم يكن هناك مجال لمعرفة الأفكار المتصارعة في رأسها خلال هذه المواجهة المتوترة.

كان جوناس بارسلي يقول بلهجة اتهامية:

ـ لا تكوني متزمتة هكذا ماندي.. وافرجي قليلاً عما في نفسك.

ـ أخشى أن لا أستطيع أن أفرج عما في نفسي إلى الدرجة التي ترغبها جو.

اشتدت شفتاه ثانية بالتوتر والغضب: ظننتك تحبينني.

عضت على شفتيها المرتجفتين لتستعيد رباطة جأشها:

ـ أحبك فعلاً.. وتعرف هذا جو. ولهذا السبب نفسه لا أستطيع أن أفعل ما تطلبه مني.. لا أستطيع أن أعيش معك إلا إذا تزوجنا.

ـ لكنك تعرفين أن الزواج غير ممكن الآن.

ـ أعرف جو، وأفهم، لكن حتى ذلك الوقت، يجب أن تحترم رغباتي.

نظر إليها، ثم اعتدل وقال:

ـ سأعود إلى الداخل.. هل تأتين معي؟

هزت رأسها نفياً:

ـ إن كنت لا تمانع.. أفضل البقاء هنا لبعض الوقت.

هز كتفيه بلا مبالاة.

ـ افعلي ما شئت.

سار فوق الشرفة ثم اختفى خلف الأبواب الزجاجية.

أغمضت ماندي عينيها للحظات لتخفف من الألم المنبعث منهما وشعرت بطعم الدموع المنهمرة على شفتيها.. لقد تصرف جوناس بغرابة في الفترة الأخيرة.. أحياناً كانت تلمح بعض الجوانب السيئة في طبيعته. عصبيته وعدم رضاه لا يعجبانها كثيراً.. لكنه ينجح عادة في إبعاد تلك المخاوف عنها بالاعتذار إليها وضمها إليه بحرارة. وتمثيله لدور الصبي الصغير المخطىء كان دائماً يلامس قلبها ويهزم هواجسها.. فهو على أي حال وسيم جداً.

كعب حذائها المرتفع أصدر صوتاً ناعماً على الأرض الحجرية وهي تسير فوق الشرفة، في الاتجاه المعاكس للذي سلكه جوناس، إلى أن وجدت نفسها أخيراً تواجه بوابة من الحديد. أمسكت بها لحظات، وهي تشعر برغبة في أن تتجاوزها إلى الحديقة الخضراء الجميلة التي تستحم تحت ضوء القمر، والتي اكتشفتها دون أن تتوقع. بينما كانت لا تزال مترددة أتدخل أم تتراجع انتزع القرار من يدها بطريقة أو بأخرى، عندما انفتحت البوابة مصدرة صريراً خفيفاً قبل أن تنفتح على مصراعيها بين يديها المرتبكتين.

كان فندق «ترايدن» يجثم على تلة شديدة الانحدار، ولأول مرة أدركت ماندي أن القسم المتبقى من التلة في الجانب الشرقي، كان على مستوى الطابق الثالث من المبنى، مع جسر من الإسمنت يتدلى من شرفة معزولة إلى الحديقة التي دخلتها لتوها.

وقفت قليلاً تتنشق عطر العريشة المنعش، المختلط بهواء البحر اللاذع في هذه الليلة من شهر كانون الثاني.. أصوات الحفلة التي أصبحت على الطرف الآخر من التراس، تصل بصعوبة إلى مسامعها. في هدوء هذه الواحة الساحرة وسكونها. كانت الظلال منخفضة ناعمة تلف كل شيء تحت السماء المضاءة بالنجوم المتلألئة، وهي تتقدم إلى الأمام أكثر.. لقد قدم لها هذا الجو الحالم طريقة مثلى للهرب من الأفكار المضطربة التي كانت تجول في رأسها. إنه حقاً جو ساحر يساعدها على تهدئة أعصابها، بينما تهدد الحقيقة الخشنة سلامة عقلها..

وفجأة ظهر طيف أسود بعيد عن الظلال قربها، فأجفلت بخوف واستدارت لتهرب.

ـ لحظة واحدة!

هتف صاحب الطيف بصوت سمّرها مكانها قبل أن تصل إلى البوابة. استدارت، تضغط بيدها على عنقها، حيث تضرب النبضات الخائفة بألم.. تقدم الرجل نحوها.. في ظل ضوء القمر بدا لها مخيفاً، طويلاً، عريض الكتفين. كان يرتدي بذلة سوداء تكاد تختلط بالظلال: هل أخفتك؟

كان صوته عميقاً، ومطمئناً بطريقة ما، كما لاحظت وهي تتلعثم بالرد:

ـ أنا.. ظننت.. أنني وحدي هنا.

ضحك باختصار:

ـ إنني أراقبك منذ بعض الوقت.. هل أنت من نزلاء الفندق؟ أم أنك تهربين من الحفلة الصاخبة في المطعم؟

ـ لنقل إنني هاربة من الحفلة.

مر صمت ثقيل، طال بينهما قبل أن يقول بهدوء:

ـ هل تدركين أنك متطفلة؟

عضت ماندي على شفتها متوترة:

ـ أوه.. يا إلهي! كان يجب أن أعرف.. لكنني لم أستطع المقاومة.. لمن هذه الحديقة؟

ـ إنها لصاحب الفندق.

ـ أتعني واين هاوسلي الرجل الذي يملك نصف فنادق «الخمسة نجوم» في «إيسترن كاب» بالإضافة إلى أشهر مزارع الأغنام في «الكارو».

تنحنح قليلاً:

ـ هذا تصريح جارف، لكن أجل، إنه ملك لواين هاوسلي.

تابعت ماندي مفكرة، وهي لا تريد أن تبرح هذه الجنة، لكنها مع ذلك مضطربة لوجود الرجل:

ـ إنه رجل ثري جداً.. كما أسمع.

ـ وهل يؤثر عليك الثراء؟

ـ يا إلهي! لا! أتصور أن ثراء المرء أمر مضجر خاصة عندما ينزلق الجميع إليه.

تساءلت بجنون: ماذا تفعل بحق الله؟ إنها تتكلم مع غريب في حديقة معزولة وكأن لها الحق في أن تكون هنا؟ وأكملت:

ـ لا بد أنه من الصعب جداً على السيد هاوسلي أن يعرف ما إذا كان الآخرون صادقين أم أنهم يحاولون مجرد الاستفادة من ثرائه.

ـ الخبرة تجعل المرء حكماً جيداً على الشخصيات.

وافقت على مضض:

ـ أظن هذا.. هل تعرفه جيداً؟

تحرك الطيف الطويل الأسود إلى جانبها قليلاً:

ـ بإمكانك القول إنني أعرفه جيداً.. فأنا واين هاوسلي.

شهقت تضع يدها على فمها:

ـ أوه.. يا إلهي! لقد قلت أشياء كثيرة خاطئة..

وضع يده تحت مرفقها بخفة، مرسلاً تياراً من التوتر في أعصابها:

ـ اسمعي، لا يمكننا الحديث هنا. دعيني آخذك إلى الداخل، على

الأقل سأقدم لك شراباً قبل أن أعيدك إلى أصدقائك.

ـ أوه.. لا أظن..

كان يتحداها، ووجهه غير واضح في الظلمة:

ـ وهل فقدت شجاعتك؟

ـ لا.. لكن...

ـ تعالي إذن.

قادها عبر الحديقة إلى الشرفة ثم فتح باباً زجاجياً مزدوجاً وأزاح الستائر الثقيلة ليفسح لها المجال بالمرور. حين أقفل الأبواب وراءها شعرت ماندي بالذعر.

ـ سيد هاوسلي، يجب أن أعتذر لدخولي حديقتك الخاصة دون دعوة.. لكن، لا أظن أنني يجب أن أستغل كرم ضيافتك أكثر من هذا.

ـ استرخي.. أنت آمنة.. لدي هنا بعض عصير الكرز والمياه الغازية سأقدمها لك.

فتح خزانة عند طرف الغرفة، تبين أنها براد صغير تناول كوبين أنيقين وبدأ بملئهما..

استدار واين هاوسلي نحوها، فوجدت نفسها تنظر مباشرة إلى عينيه البنيتين القاتمتين، وحول بؤبؤهما إطار ذهبي غريب.. إنهما عينان غير عاديتين، بدتا وكأنهما تنظران إليها بطريقة غريبة، وقال لها: اجلسي.

أخذت كوب العصير منه، وارتاحت شاكرة في أقرب كرسي، وهي تحس بضعف غريب في ساقيها، لقربه المثير للاضطراب. وسجل تفكيرها لأول مرة الوجه الأسمر البارز العظام، والشعر الأسود الرمادي عند الصدغين. بذلته كانت رائعة التفصيل، ومكلفة.. لم يكن شاباً ولا مسناً.. حكمت بسرعة أن عمره حوالى الخامسة والثلاثين.. يبدو مختلفاً عن صوره التي شاهدتها في الصحف. إنه جذاب أكثر ربما.. لكن مع جمال طلعته، لا يمكن أن يقال عنه وسيم، مع أن هناك شيئاً سلطوي لا يمكن نكرانه في تصرفه المميز، وفي عرض كتفيه المتعجرفتين.. على

www.elromancia.com

أي حال، أشعرتها عيناه اللتان تنظران إليها برغبة غريبة في الهرب.

قاطع أفكارها:

ـ لا أعرف اسمك.

احمر وجهها وهي تدرك أنها أساءت التصرف:

ـ أماندا لارج.

نظر إليها باختصار:

ـ هل لي أن أدعوك ماندي؟

ـ طبعاً. أجل.

أجفلها الطلب، حتى كادت تسكب بعض العصير في حجرها.

ـ هل حدث ما جعلك تودين الهرب؟

أدركت أنه ماكر جداً، ووجدت نفسها ترد بالرغم من دهشتها:

ـ لقد جرى سوء تفاهم بسيط مع صديقي.

ـ هكذا إذن.. من الأفضل أن تنهي شرابك كي أعيدك إلى صديقك قبل أن يبدأ بالتفتيش عنك.

أثناء عودتها إلى المطعم، مرّت ثانية بالحديقة.. فاستدارت عند البوابة، لتلتفت وتنظر إلى تلك الجنة الساحرة الغامضة.. قرب البوابة، على الجدار، كانت هناك لوحة كبيرة مكتوب عليها «أملاك خاصة» لماذا لم تلاحظها من قبل؟ أحست بالذنب لتطفلها على أملاك واين هاوسلي الخاصة.

صاحت وهما يدخلان إلى المطعم الصاخب:

ـ أوه.. ها هو جو.

تردد جو في خطواته، وشحب بشكل ظاهر حين شاهد مرافقها، لكنه تمالك نفسه بسرعة وهو يشق طريقه نحوهما. لاحظت أن تغييراً شاملاً حدث لواين هاوسلي كذلك.. فقد زال القناع المهذب عن وجهه، ليحل مكانه نظرة تشير إلى الكراهية، وقسى فمه حتى أحست بالبرود.

قال واين هاوسلي بجفاء بعد أن استعاد جوناس جأشه:

ـ إذن.. جوناس بارسلي.. لقد التقينا ثانية. لقد كان لي شرف مرافقة السيدة الشابة لبضع دقائق قصيرة.

تمتم جوناس متوتراً: هذا ما أراه.

قالت ماندي بسرعة:

ـ لقد دخلت حديقة السيد هاوسلي الخاصة خطأ.

قاطعت سارة راوسون، صاحبة الحفل، هذا المشهد المتوتر، تشق طريقها هي وبراد بين الضيوف متجهين نحوهم:

ـ هذه أنت إذن ماندي! كنت وبراد نبحث عنك في كل مكان وكذلك جو.

ـ سيد هاوسلي، هذه صديقتي سارة راوسون وهذا خطيبها براد ليفر.

أحنى واين هاوسلي رأسه تحية لهما، وتخطاه جوناس في تلك اللحظة، ليضع ذراعاً متملكة حول كتفي ماندي.. فرفع واين هاوسلي حاجباً ساخراً نحوهما، ثم أعاد اهتمامه الكامل إلى سارة.

ـ أظنه عيد ميلادك الواحد والعشرين، هلا سمحت أن أقدم إليك تهنئتي؟

شكرته سارة بأدب مماثل وسألته:

ـ أتود الانضمام إلينا سيد هاوسلي؟

اعتذر قائلاً:

ـ أخشى أن يكون هذا مستحيلاً.. لكن أرجوك أن تتقبلي مني هدية سأرسلها لك.

أدار نظره إلى أماندا، أحست في لحظة قصيرة، بعينيه تنظران مباشرة إلى عينيها، باهتمام:

ـ قد نلتقي مرة أخرى آنسة لارج.. عمت مساء.

ارتدّ على عقبيه، وغادر، آخذاً معه شيئاً هاماً جعل من المستحيل على أماندا أن تتمتع بما تبقى من الأمسية.. ظل جوناس بدوره صامتاً بشكل غريب طوال المساء.. لكن لقاءها بواين هاوسلي تسبب بأول

www.elromansia.com

شجار جدي بينهما وهو يوصلها إلى منزلها تلك الأمسية :

ـ ماذا كنت تفعلين مع واين هاوسلي؟

ـ قلت لك . . كنت أتمشى، وانتهى بي الأمر إلى حديقته الخاصة . . وجدني هناك، تحدثنا قليلاً ثم عرض عليّ شراباً قبل أن يعيدني إلى الحفلة . . لم أكن أعرف أنك على معرفة بواين هاوسلي؟

أوقف جوناس السيارة عند مدخل مبنى شقتها، وأشعل سيكارة بيدين مرتجفتين قليلاً :

ـ حسن جداً . . إذن يجب أن تعرفي . . حدث بيننا شجار صغير منذ سنوات، ولم يكن ساراً . . ولقد تمنيت أن لا ألتقيه ثانية . . ومن حظي السيء أن تدخلي إلى حديقته . ما الذي دفعك إلى الدخول؟

ـ لست أدري، كنت مستغرقة في التفكير على ما أعتقد . . وبدت الحديقة مغرية جداً، وهادئة . . حقاً جو، لا يمكنك لومي على إحراجك.

أحست بغضبها يزداد . . وسألها : ماذا قال لك؟

ـ أتعني في الحديقة؟

ـ طبعاً . . إلا إذا كنت تفضلين أن لا تخبريني بالتفصيل الحميم.

ـ أوه . . لأجل السماء جو . . وماذا لديه ليقول لي؟ كان مهذباً بما يكفي كي لا يطردني من أملاكه الخاصة حين اكتشف أنني قادمة من الحفلة . . وعرض عليّ أن يوصلني . . وماذا كان له أكثر من هذا ليفعل أو يقول؟

نظر إليها بارتياب :

ـ بدوت محمرة الوجه . . هل حاول شيئاً؟

نظرت إليه ماندي بذعر . . كان نور الشارع ينير داخل السيارة، فشاهدت تعبير وجهه الغاضب المتسائل دون صعوبة . . وقالت بغضب :

ـ جوناس بارسلي . . إذا كنت تلمح إلى أن شخصاً بثراء واين هاوسلي ونفوذه يفكر باحتضان فتاة غريبة في ظلام الحديقة، فانسَ الأمر . . إنه ليس من هذا النوع.

استرخى جو قليلاً، ورمى سيكارته من النافذة . ثم شدها بين ذراعيه قائلاً :

ـ أنت محقة ماندي . . إنه متعجرف مغرور . . أوه . . اللعنة، إنسي الأمر حبيبتي .

ضمها بشدة بين ذراعيه، واستطاع بنجاح أن يبعدها عن التفكير بواين هاوسلي ولقائهما المختصر . وكالعادة تحول عناقه إلى امتلاك ومطالبة، ولأول مرة، أحست بسخط غريب لفقدانه السيطرة على نفسه . إنها غير مستعدة لنوع العلاقة التي يرغب فيها، وقد أخبرته بهذا في وقت سابق من الأمسية . . ما يريده منها لا يمكنه أن يحصل عليه قبل الزواج . مع أنها أحبته منذ أن التقيا لأول مرة منذ شهر مضى لكنها لم تستطع التخلي عن مبادىء تأصلت فيها منذ الطفولة . . وبسبب هذا، أصبح مهووساً تقريباً بالأمر . . وتمتم وفمه على خدها :

ـ متى أراك ثانية؟

همست :

ـ مساء الغد إذا أحببت . . يجب أن أذهب الآن .

قال، برضى مع التردد بتركها :

ـ سأتصل بك في السابعة .

أخيراً تمكنت ماندي من الإفلات من عناقه الحار، وتسلّلت من السيارة . لقد أصبح الفراق عنه يزداد صعوبة، وتاقت إلى ذلك اليوم الذي لن يعود فيه بحاجة لأن يتركها عند مدخل المبنى . . إلى وقت يعودان فيه إلى منزلهما حيث يكونان معاً .

كانت تتسلل على أطراف أصابعها إلى الشقة التي تتشارك بها مع أبيها حين سمعته يناديها :

ـ أماندا . . هل هذا أنت؟

ـ أجل أبي . . هل أيقظتك؟

ـ لا . . لم أستطع النوم . . ففكرت أن كوب حليب ساخن

www.elromansia.com

سيساعدني.

وظهر من الحمام في بيجامته ورويه.

أماندا كانت صغيرة الجسم، جميلة، شقراء، بينما هامش لارج لم يكن صغير الحجم أبداً.. بل طويلاً نحيلاً بشعر أسود مرقط بالرمادي.. أماندا كانت تشبه أمها التي توفيت منذ سنة مضت، إثر إصابة بڤيروس مرض غير معروف.

سألت أباها ساخطة، وهي تنضم إليه في المطبخ:

ـ لماذا تصاب بالأرق كلما خرجت مع جو؟ لماذا لا يعجبك جو؟ إنه لطيف جداً.

نظر هامش لارج إلى كوب الحليب مقطباً:

ـ هذه هي المشكلة عزيزتي، إنه ألطف من أن يكون صادقاً.

ـ أوه أبي توقف عن التطير!

اعتذر بسرعة:

ـ آسف أماندا.. أعرف أنك تعتقدين أنك تحبينه وأنه ألمح إلى الزواج بشكل غامض، لكنني لا أستطيع منع نفسي من الإحساس أن جديته ليست أكثر من خدعة.. إنه يخدعك يا فتاتي.. ولقد وقعت في سحره لأنك أساساً حلوة وبريئة..

قفزت ماندي رأساً للدفاع.

ـ جو يريد الزواج بي، لكن مرتبه في الوقت الحاضر لا يكفي لأن..

قاطعها والدها ساخراً:

ـ لو كان يكسب مئة ألف «راند» في الشهر، لبقي راتبه غير كاف.. وستبقى دائماً لديه أعذار أخرى كي لا يعين موعد الزفاف.

هناك بضعة مواضيع لا تتفق فيها مع أبيها، لكن جوناس موضوع أساسي منها.. أحياناً يشتد غضبها بحدة، وتجد صعوبة في فهم حجج أبيها.. ولم تكن أماندا يوماً إلا لطيفة ومهذبة مع أبيها لكنه كان يصرّ على فكرته الغريبة بأن جوناس غير جاد.. سألت وهي تحس بجرح في كرامتها

وبالغضب، وهي تشد كرسياً لتنضم إليه على الطاولة:

ـ كيف تقول أشياء كهذه عنه أبي؟

ـ أقولها ماندي، لأنني أكبر منك سناً، وفي مثل عملي كمدير دائرة الموظفين، التقيت بكل أنواع البشر.. جوناس بارسلي رجل لعوب، وأنت أعمى بصيرة من أن تري هذا.

ضربت ماندي قبضتها على الطاولة:

ـ ليس لك الحق في أن تقول هذا! أنت لا تعرف جو كما أعرفه، ورأيك فيه متحيز.. إنه يحبني ويريد الزواج بي.. قال لي هذا وأنا أصدقه.

تململ هامش قليلاً:

ـ لا بأس.. آمل لمصلحتك أن تكون ثقتك به في محلها. قد تكونين في العشرين ماندي، لكنك ما زلت فتاتي الصغيرة، وأنا قلق عليك.. أريد أن تكوني سعيدة.. لكن.. سامحيني، لا أرى في جوناس بارسلي ما يجلب غير التعاسة.

زفرت أنفاسها، وعرفت أنها تحارب في معركة خاسرة:

ـ أوه دادي.. ليتك تعرفه أكثر..

ـ ربما.. هناك الكثير من الحليب في البراد، اصنعي لنفسك بعض الكاكاو.

قالت تحدّث أبيها وهي تسخّن الحليب وتبحث عن علبة الكاكاو في الخزانة:

ـ على فكرة.. التقيت واين هاوسلي بالصدفة هذا المساء في فندق «ترايدون».. لقد سمعت به لا شك.. أليس كذلك؟

ـ اسم هاوسلي يفتح أي باب في «ايسترن كاب» خاصة هنا في «بورت اليزابيت». كيف التقيت به؟

أخبرته ماندي باختصار كيف تحولت صدفة في حديقة واين هاوسلي الخاصة، وكيف وجدها، وقال لها من هو. لكنها تغاضت عن واقع أن

www.elromancia.com

جوناس كان منزعجاً من هذا الشخص الذي هو على معرفة قديمة به.

سألت وهي تخفق الكاكاو وتنضم إلى أبيها مرة أخرى: أتعرفه أبي؟

لم تجد تفسيراً لفضولها الغريب فيما يتعلق برجل التقته فترة قصيرة. توردت أمام نظرة أبيها.

ـ سمعت الكثير عنه.. تعرفين كيف يتكلم الناس، لكن لم يتح لي شرف لقائه.

مررت اصبعها على الكوب مفكرة:

ـ أتساءل أي نوع من الرجال هو؟

ـ ما أعرفه عنه، أنه في الخامسة والثلاثين من عمره وهو أعزب مثابر. وهناك الكثير من الأمهات في المدينة يأملن مصاهرته، ولكنه تمكن حتى اليوم من مراوغتهن بنجاح.

ضحك هامش قليلاً لملاحظته قبل أن تمرّ في ذهنه فكرة رصينة:

ـ ماتت شقيقته الوحيدة منذ سنوات. تقول الشائعات إنها انتحرت، لكن لا يبدو أن أحداً يعرف ما حدث بالفعل.. وقد كره دائماً مناقشة الموضوع.

ازداد فضول أماندا:

ـ وكيف وقع الحادث؟

رفع والدها حاجبيه الأسودين، وهز كتفيه وهو يفرغ كوب الحليب في جوفه:

ـ كانت على ما يبدو في طريق عودتها من «بورث اليزابيث» عندما اصطدمت بسياج الطريق وتدحرجت سيارتها السبور الصغيرة من فوق الجبل. كان واين هاوسلي مع فريق الإنقاذ الذي نزل بالهليكوبتر لإخراج جثتها من بين الحطام.

خفق قلب أماندا شفقة:

ـ إن ذلك لمريع بالنسبة إليه!

دخل وميض خبيث إلى عيني الأب الرماديتين.

ـ أرى أن لديك اهتماماً غير عادي بواين هاوسلي.

أحس بالرضى لأنه رأى تورد وجهها.. ولكنها حاولت مدافعة:

ـ أنا فضولية فقط.. فشخص مثل واين هواسلي يعطي دائماً الانطباع بأنه مغرور، بعيد عن الأحزان.. بل قد يميل المرء إلى النسيان بأنه من البشر.

شربت ما تبقى من كوب الكاكاو بسرعة، لتتخلص من عيني أبيها المتفرستين، وقالت:

ـ سأذهب إلى النوم الآن.. ليلة سعيدة أبي.

قبلته بسرعة، وهربت إلى غرفتها ولكن مرّ وقت طويل قبل أن تتمكن من النوم. كانت أفكارها منصبة على تصرفات جو الغريبة لدى رؤيته واين هاوسلي.. وبعد المعلومات المذهلة التي زودها بها والدها عنه.. تذكرت بدقة متناهية لمسة يده على مرفقها، وتلك العينين غير العاديتين اللتين نظرتا إليها بحدة، لتزيدا من تشويش أفكارها.. أي نوع من الرجال هو؟ تساءلت مرة أخرى، وعندها، تذكرت شيئاً صدمها.. واين هاوسلي هو عضو في مجلس إدارة المؤسسة الهندسية التي تعمل فيها.. أدركت الآن لماذا كان لاسمه رنين الإنذار في رأسها.. صحيح أن إمكانية لقائهما مجدداً لم تكن كبيرة، لكنه دخل إلى حياتها بسرعة ولسبب ما لم تستطع تحديده، أحست بهاجس داخلي بأنه سيكون ذا تأثير على علاقتها بجو.

في الصباح التالي، قابلت سارة أماندا في العمل، ولم تتكلم إلا عن لقائها بواين هاوسلي:

ـ طالما تساءلت كيف يبدو حقاً.. فقد تكون صور الصحف خدّاعة.

رفعت عينيها إلى السقف تعجباً وتنهدت حالمة:

ـ لو لم أكن واقعة في حب براد كثيراً، لانجذبت إلى واين هاوسلي بطريقة هائلة!

ضحكت أماندا متذكرة شدة حب سارة لبراد حتى قبل أن يلاحظ وجودها. سارة راوسون، ذات الشعر الأحمر والعينين الخضراوين، كانت

www.elromancia.com

أقرب صديقة لها منذ كانا في الثانوية العامة. . وفيما أماندا جادة دائماً، كانت سارة طائشة متهورة ولم يساعدها بلوغها سن الرشد في تغيير طباعها.

ردت أماندا بعد نظرة سريعة فوق كتفها نحو الحاجز الزجاجي الذي يحيط بمكتب براد:

ـ من الأفضل أن تدعي براد يسمعك.

قالت سارة بإصرار:

ـ جعلني براد ليفر آكل أظافري زمناً طويلاً، وحان الوقت الآن ليعاني من بعض لحظات القلق. من يعلم، فقد يزداد تقديره لي.

عبست أماندا قليلاً: «لن تقومي بشيء طائش، أليس كذلك؟»

ـ لن أقوم بما هو طائش يا حبيبتي. . أعدك.

وضحكت ضحكة خبيثة:

ـ لكنني أنوي أن أسبب له بعض القلق، قبل اليوم الذي سأسير فيه في الكنيسة لأتزوجه. . يجب ألا يعتقد أنه فريد من نوعه.

ـ مسكين براد. . ولكن لا تنسي وأنت تفعلين هذا أنه يحبك كثيراً.

ضحكت سارة بسعادة: «ولن أنسى كذلك كم أحبه أنا».

نظرت أماندا إلى الأوراق المكدسة أمامها، لكن سارة لم تكن تنوي المغادرة إذ سألت:

ـ ما كان خطب جوناس ليلة أمس؟

سألت أماندا ببراءة: «جوناس؟»

ردت بإلحاح:

ـ لا تراوغي. . لقد شحب وجهه حينما شاهدك مع واين هاوسلي، ولا أظنه استرد وعيه من الصدمة طوال السهرة.

ردت أماندا مراوغة: «ليس هناك شيء. . حقاً. .»

سارة كوالد أماندا، غير معجبة كثيراً بجوناس، وهي لم تحاول إخفاء عدم موافقتها على خيار أماندا. .

أضافت أماندا: إنهما غير متفقين. . أعني السيد هاوسلي وجو.

ـ أراهن أنهما لن يتفقا. . ما واين هاوسلي بغبي، وجوناس شفاف جداً. .

ـ سارة. . أرجوك.

سرعان ما ندمت سارة عندما رأت الألم على وجه أماندا الحساس.

ـ آسفة ماندي. . لم أقصد جرحك. لكن ليتك لم تقعي في حب جوناس بارسلي. . إنه ليس من طرازك. .

ابتسمت أماندا بقلق:

ـ سيوافقك والدي الرأي بكل تأكيد، لكنني أتمنى لو تعطيا جو الفرصة لإثبات نفسه بدون أن تديناه من غير حق.

ـ ماندي. . أعترف أنه مهذب وساحر وجذاب بشكل شيطاني بشعره الأشقر وقسماته الوسيمة الطفولية. . لكن لا أستطيع منع نفسي من الشعور بأن تحت هذا المظهر الرائع شيء بغيض جداً.

ـ أنت متحيزة. . مثل أبي.

تجاهلت سارة دلائل السخط في عيني أماندا الزرقاوين وتوجهت نحو مكتبها.

من حسن الحظ لم تتح لأماندا الفرصة لكي تفكر بكلام صديقتها فقد كانت تعمل بثبات في طباعة الأوراق المكدسة أمامها. . تناولت فنجان شاي في العاشرة من ذلك الصباح، ثم عاودت العمل مجدداً. . ساعة الغداء، كان عدد الأوراق قد نقص بشكل ملموس وأحست بالراحة فنزلت إلى «الكافتيريا» لتتناول بعض الطعام.

كانت سارة قد ذهبت مع براد إلى البلدة ليتسوّقا، هكذا وجدت أماندا نفسها بلا صحبة صديقتها المشرقة المعتادة. . ولكنها للمرة الأولى كانت مسرورة بانفرادها بنفسها.

عزيزتي سارة! أنت كأبي! قالت ماندي في نفسها، فسارة قصدها

www.alromancia.com

طيب وكذلك أبيها. . مع ذلك فهي تجدهما سخيفين بمجرد شكهما في نوايا جو.

* * *

٢ ـ خائفة!

فيما كانت أماندا تصب الشاي بعد غداء خفيف راودها شعور غريب أن شخصاً ما يراقبها عن كثب. . أدارت رأسها قليلاً ليقع نظرها على واين هاوسلي المحدق بها. انحبست أنفاسها حين أومأ برأسه معتذراً من رفيقه ومتوجهاً نحوها في المطعم المزدحم. . ما الذي يريده منها؟ تساءلت بذعر وهي تراقبه بذهول يتقدم بخفة كالفهد، مقترباً منها بحزم. لكن إحساسها حذرها «اهربي الآن!» وكان قد فات الأوان، فأطرافها كانت مخدرة.

ـ هل لي أن أنضم إليك؟

تمتمت، تحمر قليلاً: أرجوك.

أحست أن كل النظرات كانت متجهة نحوهما. جذب واين هاوسلي كرسياً ليجلس عليه.

ـ في الإبريق ما يكفي من الشاي. . هل أطلب لك فنجاناً سيد هاوسلي؟

ـ لا. . شكراً لك. لقد تناولت الشاي لتوي.

أطال بنظره إليها، كانت ترتدي تنورة رمادية وبلوزة بيضاء ناعمة:

ـ لم أكن أعلم أنك تعملين هنا.

ـ لم تسألني أوراق اعتمادي حين غزوت بفظاظة حديقتك الخاصة ليلة أمس.

رد ساخراً:

www.romancia.com

- أحس بخيبة لإهمالي.. على أي حال، لقد ابتسم لي الحظ مرة أخرى كما يبدو.

قالت وفي عينيها الزرقاوين القاتمتين تساؤل واستغراب: لا أظنني فهمت قصدك.

أجاب وقد ارتخت شفته السفلى في ابتسامة:

- لا يهم.. هل كانت بقية سهرتك ممتعة؟

- كانت.. لطيفة.. شكراً لك.

لم يدرك أن سبب ترددها وارتباكها الكامل هو وجوده معها. فسأل:

- منذ متى تعرفين جوناس بارسلي؟

كان سؤالاً مباشراً غير متوقع، جعلها تهب فوراً للدفاع.

- ليس هذا من شأنك سيد هاوسلي.

بدت القساوة على وجهه البارز العظام، وقال بحدة:

- كنت أحاول بدء حوار لائق معك آنسة لارج.. لا أن أتطفل على شؤونك.

عضت على شفتيها، غاضبة لانفعالها من مجرد سؤال بسيط.

- أنا آسفة.. لم أقصد أن أكون فظة.. كل ما في الأمر أن جوناس بارسلي أصبح بالنسبة لأبي ولأعز صديقة لي موضوعاً حساساً مؤخَّراً.

- وهل يعني هذا أنهما غير موافقان على صداقتك معه؟

- كلا.. ليسا موافقين.

- ربما لديهما أسبابهما.

ازداد توترها وغضبها دون مبرر:

- أوه.. ليس أنت أيضاً سيد هاوسلي!

- هل لي أن أسألك مجدداً، منذ متى تعرفينه؟

نظرت إلى عينيه البنيتين القاتمتين، وعرفت أنها لن تستطيع تجنب الرد على سؤاله المباشر هذه المرة.

- منذ أكثر من شهر.

- هكذا إذن!

لاحظت التواء شفتيه الساخر، فسألت:

- ماذا تعني سيد هاوسلي؟

- قد يتطلب تعرفك إلى بعض الناس سنوات عدة.. لكن لا يلزمك أكثر من خمس دقائق لتتعرفي إلى نوع آخر من الناس.

- وما الذي تحاول قوله؟

فاجأها بريق لمع في عينيه عندما قال:

- أنا لا أحاول قول أكثر من أن بعض الناس يتمتعون بشفافية ويختبىء آخرون خلف أقنعة واهية.

- ألا نميل جميعاً إلى ارتداء قناع في تواصلنا مع الآخرين؟

لم تعد خائفة من أن هذا الرجل الأنيق الملبس ببذلته البنية قد يحرمها وظيفتها.. وأكملت:

- ألا ترتدي أنت قناعاً سيد هاوسلي؟

أشارت اليدان القويتان الدقيقتا الشكل معبرتين:

- يصبح لبس الأقنعة في بعض الأحيان أمراً ضرورياً.. هذا صحيح، لكن هذا يتوقف على الشخص الذي تتواصلين معه.

ردت أماندا مقتنعة: بالضبط.

وحدقت لبرهة في وجه واين هاوسلي.

- لن أتجادل معك آنسة لارج.. لكن هل لي أن أطلب منك خدمة قبل أن أتركك؟

وقف فجأة، فاستدارت الرؤوس مجدداً نحوهما..

- إذا كان بإمكاني مساعدتك، لن أتأخر.

- أيمكن أن أحصل منك على عنوان مكان عمل جوناس بارسلي؟

لم يستحق الطلب العذر أو الخوف، فأعطته العنوان في الحال، وراقبته وهو يدوّنه على دفتر صغير، أعاده فوراً إلى جيب سترته.. وكانت في عينيه لمحة سخرية لا يمكن إغفالها وهو ينظر إليها مجدداً.. ويقول:

- سنلتقي ثانية ماندي لارج. . لأنني أود متابعة نقاشنا الممتع.

ظلّت تراقبه إلى أن اختفى، لم ترتح إلى ما أحسّت به. وأحست أن وابن هاوسلي هو الرجل الذي لا يقف في وجهه شيء. . حين يريد شيئاً، يخرج عن طوره ليحصل عليه. . ومع هذه الفكرة، أحست أنها علقت في فخ.

بعد مضي يومين تمزقت الحياة بالكامل باتصال هاتفي غير متوقع من جوناس. .

- ماندي حبيبتي. . أخشى أن أكون مضطراً لإلغاء خططنا لهذه الأمسية. . ستوفدني المؤسسة إلى «كايب تاون» لأنوب عن مسؤول فرعنا هناك مدة ثلاثة أسابيع. . أي لن أعود قبل منتصف شباط.

بدت منزعجة قليلاً وقالت:

- أوه. . لا! هل سأراك قبل رحيلك؟

- لا حبيبتي. . فأنا مسافر في طائرة السادسة والنصف هذا المساء.

- سآخذ سيارة أبي وألحق بك إلى المطار. . فقد أصل في الوقت المناسب.

- ماندي. . حبيبتي. . هذا رائع.

اغتبط لسماعه هذا. . فحزن قلبها لاحتمال فراقه:

- أكره التفكير في أنني لن أراك لثلاثة أسابيع.

- أعرف هذا. . لكن ماذا باستطاعتي أن أفعل؟

- لا شيء جو. . سوى السفر والإسراع في العودة.

كانت ضحكته ناعمة عبر الهاتف، فتسارعت دقات قلبها.

- هل أخبرتك يوماً ماندي أنك فتاة رائعة غير أنانية ومتفهمة؟

- أنا لست هكذا، جو. . لكن شكراً على الإطراء.

- أراك فيما بعد إذن، وداعاً الآن حبي.

أعادت السماعة إلى مكانها بإحساس من فقد غالياً. . ثلاثة أسابيع دون جو ستطول كأنها دهر، لا شيء تتشوق إليه في أمسيات الوحدة.

سألتها سارة تدفع بعملها جانباً وتستدير:

- أخبار سيئة، ماندي؟

- جو مسافر لثلاثة أسابيع.

- أوه؟

شرحت أماندا لها الأمر بسرعة مضيفة:

- سأشتاق إليه كثيراً.

- لم الحزن ماندي؟ . . لن يغيب إلى الأبد.

حاولت ماندي جاهدة السيطرة على حزنها:

- أنت محقة سارة. . فما هي ثلاثة أسابيع إزاء حياة كاملة سنعيشها سوياً؟

- بالضبط.

غيرت سارة الموضوع في الحال، وامتنت أماندا من صديقتها لمحاولتها تغيير جو الكآبة الذي غلبها تلك اللحظة. . لكن رغم ذلك بدت لها الأيام القليلة المقبلة قاتمة فارغة دون حبيبها.

ذلك المساء، استقلت أماندا الباص كعادتها إلى المنزل، أخبرت والدها بسرعة أنها ستتأخر قليلاً وانطلقت بالسيارة إلى المطار بأقصى سرعة يسمح بها القانون لتصل إلى هناك قبل دقائق من النداء إلى المسافرين بالصعود إلى الطائرة.

ناداها عندما رآها تدخل المبنى:

- ماندي حبيبتي. . كنت خائفاً أن لا تتمكني من المجيء.

رمت نفسها دون خجل بين ذراعيه:

- تجاوزت كل إشارات السير تقريباً. . كنت كالمسحورة.

- المهم أنك هنا حلوتي.

ما هي إلا لحظات حتى استدعي ركاب رحلة «كايب تاون». . فنظر إليها بأسى:

- يجب أن أذهب حبي.

www.elromancia.com

صرخت وقد دمعت عيناها:

ـ أوه.. جو.. سأشتاق إليك!

عانقها بحرارة:

ـ وأنا سأشتاق إليك حبيبتي.

شاهدته أماندا يذهب عبر غشاوة من دموع، وبقيت حيث هي إلى أن أقلعت طائرة «البوينغ» وحلقت في سماء المدينة التي بدأ يلفها الظلام. أحست للحظة أنها خائفة ووحيدة، ثم شجعت نفسها: لا تكوني سخيفة، فسوف يعود جو، وإذا ملأت فراغ وقتي لن أحس بطول المدة.

ذهبت إلى العمل في اليوم التالي مصممة ألاّ يؤثر غياب جو على مزاجها.. لكن ما حدث قبل الظهر جعلها تتمنى لو أنها طارت معه.. فقد رن الهاتف على طاولة سارة، وبعد الرد، قالت:

ـ المخابرة لك ماندي.

اقتربت أماندا من الهاتف بارتباك وتناولت السماعة، واضعة يدها على فم الجهاز.

ـ من المتكلم؟

هزت سارة كتفيها:

ـ مخابرة خارجية.. الصوت مألوف، لكنني لم أعرفه تماماً.

سألت وقد امتلكتها الحيرة:

ـ ومن يمكن أن يكون؟

ـ لن تعرفي شيئاً إذا لم تتحدثي مع الرجل. حاولي أن تعرفي ماذا يريد، وإلا تملكتني الفضول، هه!

لم يعجبها الأمر أولاً، لكن فضول سارة جعلها ترفع السماعة إلى أذنها وتقول:

ـ أماندا لارج تتكلم.

رد صوت عميق:

ـ آه.. بدأت أشك أنك لست موجودة.

أصبحت أعصابها مشدودة:

ـ سيد هاوسلي!

سأل ساخراً:

ـ أكنت تتوقعين مكالمة من شخص آخر؟

تلعثمت وأحسّت كم هي غبية:

ـ لـ.. لا.. ما.. ماذا أستطيع أن أفعل لك؟

ـ كنت أتساءل إذا كان بالإمكان إقناعك بتناول العشاء معي هذا المساء.

تهاوت مستندة إلى طاولة سارة، وحدقت في عيني صديقتها المستفسرتين:

ـ أنا.. أنا.. أخشى ألاّ أستطيع.. جو.. جو.. سيأخذني إلى العشاء الليلة.

كانت تتمسك بخيط الكذبة الوحيدة التي تعطيها الأمان.. لكن.. الأمان ممّن وممّاذا؟

خنقت سارة ضحكتها في كفها في الوقت الذي رنت فيه نبرات صوت واين هاوسلي في أذن أماندا:

ـ ألا يمكنك اختلاق عذر أفضل؟

ـ ماذا تعني؟

ـ أعرف أن جوناس بارسلي سيغيب لثلاثة أسابيع خارج المدينة، فهل أنا محق أم لا؟

أدركت أنها وقعت في الفخ.. واحمرّ خدّاها.

ـ من.. من قال لك هذا؟

رد ساخراً:

ـ باستطاعتك القول إن أذني تسترق السمع.. فهل تتناولين العشاء معي هذا المساء وتسمحين لي أن أرفه عنك أثناء غيابه؟

ـ أنا.. أنا.. لا أستطيع.. أنا..

www.elromancia.com

قاطعها مستغلاً تلعثمها، ومستبقاً العذر التالي :

ـ سأحضر لاصطحابك عند السابعة، قد نتناول العشاء في فندقي . . لا داعي لارتداء ثياب سهرة، فالعشاء غير رسمي .

ـ لكنني لم أقل . .

قاطعها مجدداً، بثقة تثير الأعصاب :

ـ لكنك ستوافقين .

سمعت نفسها تقول وكأنها تصغي إلى شخص آخر : أجل .

ـ في السابعة؟

ـ أجل .

ـ عظيم . . أتشوق للقاء، ماندي .

وانقطع الخط . . نظرت بذهول إلى السماعة في يدها . . إلى أن سمعت سارة تسألها :

ـ ماذا يريد واين هاوسلي العظيم؟

فوضعت السماعة من يدها في انزعاج .

ـ لقد دعاني إلى العشاء معه هذا المساء .

اتسعت عينا سارة: عجباً . . عجباً!

ـ لا تقولي هذا!

ضحكت سارة وهي تراقب عيني صديقتها المحتارة:

ـ حبيبتي ماندي . . سوف يشرّفك أن يدعوك رجل مثل واين هاوسلي إلى العشاء. هناك فتيات في هذه المدينة يتخلين عن كل شيء لقاء دعوة كهذه!

ابتلعت أماندا ريقها بعنف، تحاول استعادة رباطة جأشها قبل أن تنظر إلى صديقتها بشيء من الخوف :

ـ أعرف . . أعرف . . لكن . . سارة أنا خائفة!

ضحكت سارة مجدداً، لكن بطريقة مطمئنة:

ـ بحق السماء ماندي . . لن يأكلك هذا الرجل . . ثم، ليس له سمعة

سيئة مع النساء .

ابتسمت أماندا :

ـ لست خائفة من إغوائه، إذا كان هذا ما تعنين . . ولن أخدع نفسي إذا كان مهتماً لأمري خاصة أن قلب واين هاوسلي لا تأسره إلاّ امرأة فائقة الجاذبية في المكان الأول .

نظرت سارة إليها نظرة متسامحة :

ـ هذا أكثر ما يعجبني في شخصيتك ماندي . لم تكوني يوماً فتاة مدعية، أو غير مدركة لواقع أنك إحدى أجمل الفتيات التي قابلتهن في حياتي .

ـ أنت صديقة طيبة سارة، لكنك تميلين للمبالغة .

ـ لا تبخسي من حق نفسك حبيبتي . . ربّما لم يكن واين هاوسلي يفكر بالزواج . . لكنني لم أسمع برجل لا يقدر الجمال حين يراه .

قاطعتها أماندا وقد بدا عليها التوتر :

ـ أنا لست مهتمة بما يراه واين هاوسلي في شكلي . . أوه . . لو أن جو كان موجوداً!

ـ لكنه ليس هنا، فلماذا لا تدعي واين هاوسلي يبعد تفكيرك فيه ولو للوقت الحاضر؟ لا ضرر في هذا، بكل تأكيد؟

صاحت أماندا وقد كورت يديها الصغيرتين :

ـ لكنني لا أريد أن يبعد أحد أو شيء تفكيري عن جو . . أنا أحبه!

سمعت سارة تتمتم: ويا للأسف .

لكنها كانت مضطربة لفكرة العشاء مع واين هاوسلي لدرجة أنها لم تظهر غضبها . . فأضافت سارة بثقة :

ـ فكري فقط أن تمضي أمسية ممتعة، وهذا ما سيحدث .

عادت أماندا إلى طاولتها، متمنية أن لا تصل الساعة الخامسة أبداً . . فكرت أن تتذرع بالمرض . . لكنها تعرف أن واين هاوسلي لن يدع هذا يخدعه . . ربما، كان الحل الوحيد أن تمضي هذه الأمسية، وتنهي الأمر .

وبعدها لن تقبل دعوات أخرى، هذا ما ستقوله.

بدا على لارج الشك حين أخبرته ابنته بأمر الدعوة غير المتوقعة. لكنه عاد وصدقها حين وجد نفسه جالساً لوحده يتناول العشاء بينما كانت تستحم وترتدي فستاناً نصف رسمي، يماثل بلونه لون عينيها. لم يكن فستاناً رسمياً، بل كان بسيطاً يلائم ليلة صيف دافئة. ودون أن تتعمد ذلك، اهتمت أكثر من المعتاد بمظهرها، وشعرها الذهبي وكأنه هالة نور، بعد أن مشطته بقوة لتبعده عن وجهها نحو عنقها، وتتركه ينسدل بنعومة.

حين دخلت أخيراً غرفة الجلوس حيث كان والدها يقرأ صحيفة المساء، رفع نظره إليها، وصفّر إعجاباً. لكنها وجدت صعوبة في إخفاء توترها.

قال لها:

ـ إذا كنت تفضلين عدم الذهاب، سأجد لك مبرراً، أماندا.

هزت رأسها بحزم:

ـ ما من فائدة أبي. وابن هاوسلي ليس بالرجل الذي يقبل الأعذار. لقد حاولت وفشلت.

طوى الأب الصحيفة بحذر، ووضعها على الأرض قرب مقعده، ليعطي ابنته كل اهتمامه:

ـ لربما تمتعت بصحبته، ألم تفكري بذلك؟

ردت بثقة تامة: لا أظن هذا.

في السابعة تماماً، رن جرس الباب، فنظرت أماندا بعينين خائفتين إلى أبيها، الذي واجهها بهدوء:

ـ يبدو أنه رجل دقيق بالمواعيد.

ضحكت متوترة، ثم وقفت وهي تقول:

ـ إذا كان دقيق المواعيد، فلن يعجبه تأخري.

غادرت غرفة الجلوس تغمض عينيها قليلاً لتريح أعصابها المتوترة قبل أن تفتح الباب. ابتسم وابن هاوسلي لها من فوق هامته الطويلة:

ـ مساء الخير ماندي.

تمتمت وقد أذهلتها أناقته الشديدة:

ـ ألن.. ألن تدخل؟

لحق بها إلى غرفة الجلوس، ولدهشتها تلاشى بعض من توترها حين لاحظت انسجاماً فورياً بين الرجلين. تفاجأت للارتياح الذي بدا عليهما. يتبادلان الحديث وكأنهما صديقان قديمان. لو أن جو وأبيها يتوافقان..

قاطع وابن أفكارها وهي تجلس قربه في السيارة:

ـ تبدين رائعة الجمال هذا المساء أماندا لارج.

وضع يده على يديها وهي تشدهما بشيء من التوتر الظاهر. وقال بدفء:

ـ كنت أفضل لو تسترخين وتبادليني الكلام.

أرسلت أصابعه الدافئة القوية تياراً كهربائياً في جسدها المتوتر فضغطت على أسنانها حتى لا تصطك:

ـ أنا.. أنا آسفة.. أنا.. لم.. أكن أنوي الذهاب في الأصل، تعرف هذا، أليس كذلك؟

أفلت يديها فوراً، وساد صمت قلق بينهما. شعرت أنها تعجبه، لكنها سمعته يضحك خفية، نظرت إليه متعجبة فشرح قائلاً:

ـ أنت تنعشين النفس بهدوئك، ويعجبني هذا. وقد يغيّر مزاجك الجو الهادىء والدافىء، والطعام اللذيذ.

لم تعد أماندا تذكر متى خفت حدّة توترها خلال العشاء، لكن قلقها من الرجل الجالس قبالتها لم يتلاشى. كانت تشعر به في كل ذرة من كيانها، الأمر الذي أفزعها وجعلها في حالة حذر مستمر.

سألته بفضول، بعد أن تذكرت فجأة أنها لم تعطه عنوان سكنها:

ـ كيف عرفت أين أسكن؟

صبّ الساقي القهوة لهما في فناجين صغيرة أنيقة من الخزف الصيني،

www.elromancia.com

فأجاب هاوسلي:

ـ ربما فاتك أن لي حق الوصول إلى ملفات الموظفين؟

أدركت أنّه فاتها هذا لغبائها: طبعاً.

ضاقت عيناه وهو يتأملها عبر دخان سيكارة أشعلها لنفسه:

ـ اكتشفت كذلك أنك بعد خروجك من المدرسة التحقت بكلية السكرتيرات لمدة سنة قبل انخراطك في العمل في المؤسسة.. ومنذ سنة ونصف جرت ترقيتك إلى سكرتيرة مساعد المدير العام الخاصة. وبعد مرور أسبوع طالبت بالعودة إلى مركزك السابق.. لماذا؟

تسارعت دقات قلب أماندا، فأخفضت نظرها..

ـ لي أسبابي الخاصة في ذلك.

ـ أستطيع أن أصر على معرفتها.

نظرت إليه متوسلة:

ـ لا أرغب في مناقشتها.

سأل واين وهو يزمّ فمه:

ـ هل طلب منك مساعد المدير العام جزءاً من الخدمات الخاصة؟

أحست بالدم يتصاعد إلى وجهها: تعرف؟

أجابها وهو يطفىء سيكارته في نصفها:

ـ يعرف الجميع أنه يختار سكرتيراته خصوصاً لهذا الغرض، هناك فتيات يستمتعن بمثل هذا العمل، لكنك لست مثلهنّ. وإلاّ لما احمرّ وجهك لمجرد الكلام عن الموضوع.

لم تستطع تحمل نظرة عينيه القاتمتين، فأخفضت نظرها:

ـ لم أناقش الموضوع مع أحد من قبل.

قال بصوت أجش:

ـ هذا مفهوم. لقد اكتشفت الكثير عنك أماندا لارج، خلال فترة قصيرة.. فهل ترغبين في فكّ ما تبقى من اللغز؟

أحست بيديها ترتجفان في حضنها وهي تنظر إليه بريبة.

ـ ألهذا دعوتني للعشاء معك؟

ـ أيصدمك أن تعرفي أماندا، أنك ولسبب ما، تثيرين اهتمامي كثيراً؟

فكرت للحظة في ما قاله ثم أجابت:

ـ لا يصدمني هذا سيد هاوسلي.. لكن..

قاطعها بسرعة، مبتسماً:

ـ واين.. أصدقائي ينادونني واين.. ماذا كنت ستقولين؟

ـ إنني لا أرى سبباً لاهتمامك بي.

لمع في عينيه بريق سخرية، ممّا زاد من قلقها.

ـ أيجب أن يكون هناك سبب؟

ـ عادة نعم، هناك سبب.. حين يهتم رجل مثلك بفتاة عادية مثلي.

ـ هل تحبين جوناس بارسلي؟

فاجأها السؤال، وللحظات نظرت إليه بصمت:

ـ حقاً! لا أرى..

أنهى لها جملتها بقليل من نفاد الصبر:

ـ أن هذا من شأني.. أتفضلين أن أسأل الآخرين عن حياتك الخاصة؟

بدا عليها الذهول، وتشوشت أفكارها لضعفها فأكمل:

ـ هيا ماندي.. استرخي.. لن آكلك.. ستجيبين عن سؤالي أم ماذا؟

ـ إذا كان يجب أن تعرف.. أجل.. أحبه.

ـ وهل طلب منك الزواج حتى الآن؟

تململت في كرسيها:

ـ لم يطلبني بشكل رسمي.. لكننا ناقشنا أمر الزواج.

لماذا بحق الله تسمح له باستنطاقها؟ فهذا ليس من شأنه. مع ذلك وجدت من الصعب عدم الرد..

ـ أتظنين أنه سيطلبك للزواج؟

بالرغم من جهدها للسيطرة عليه تضاعف غضبها وقالت:

ـ لا أعرف لماذا عليّ توضيح أمور لا علاقة ولا شأن لك بها

www.elromancia.com

إطلاقاً. . لقد تماديت في السؤال بما فيه الكفاية، سيد هاوسلي!

أطبقت يد سمراء قائمة قوية بحزن على يدها فوق الطاولة:

- لا يسعني التفكير أن امرأة جميلة مثلك ماندي قد تخدع بمظهر كاذب. . ولا أحب أن يمس براءتك شيء.

كان صوته دافئاً رناناً، وصادقاً بشكل غريب. مع ذلك لم تنتبه لتحذيره. فهي تثق بجو، ويجب أن تصدّق أنه يحبها كما تحبه. العزيز الحبيب جو، إنه ليس موجوداً ليدافع عن نفسه!

- جو لن يؤذيني أبداً أنا واثقة من ذلك.

- مجرد كلمات. . سامحيني إن قلت لك هذا.

أشاحت بوجهها نحو البحر الذي لمعت مياهه تحت ضوء القمر تصور هدوءاً وسكينة كانا بعيدين عنهـا. . وثقت بحدسها في الماضي، فلماذا لا يمكنها الثقة بحكمها على جو؟ لماذا يصرّ الجميع على تهديم علاقتهما؟ لماذا يجدون صعوبة في تصديق جو؟ هل انتقاد واين هاوسلي سببه الجدال الذي جرى بينهما؟ بالتأكيد لا! لا يظهر الحقد على واين ولا يبدو الشخص الذي يسعى إلى تدمير سعادة شخص آخر.

حين أوصلها إلى منزلها ذلك المساء، قررت ألا تراه في المستقبل مهما كلف الأمر، ولو لأجل راحة بالها فقط. سألته بدون وعي وهو يأخذ المفتاح منها ليفتح باب الشقة:

- لماذا تأخذ هذا الموقف من جو؟ لماذا تحاول إقناعي بنذالته، كما تدعي؟

ارتفع حاجباه بحدة:

- عزيزتي ماندي. . لم أفعل أي شيء من هذا. كنت فقط أحاول مساعدتك في فهم الحياة والحرص منها. . فقد أحسست أنك كثيرة الثقة بالناس، وصادقة في كل شيء، لكن هذا لا ينطبق على الآخرين.

نظرت إليه عدة ثوانٍ تحت ضوء مدخل الشقة الخافت، لكن تعابير وجهه بقيت جامدة. فقالت:

- آسفة لإثارة هذا الموضوع مرة أخرى. ولست مستعدة لمتابعة النقاش.

- عظيم. . فلنغير الموضوع. . ماذا ستفعلين مساء الغد؟

- لماذا؟

- لدي بطاقتان لعرض مسرحي في المدينة، ويمكننا تناول العشاء فيما بعد.

- شكراً لك على الدعوة. . لكن. .

قاطعها قائلاً:

- اتفقنا، إذن.

مالت على الباب في محاولة للسيطرة على ضعف غير مألوف في ركبتيها.

- سيد هاوسلي. . أنا. .

تقدم إليها أكثر: واين.

ظنته في لحظة مجنونة سيعانقها. . واستولى عليها الذعر وهي تنظر إلى وجهه قريباً جداً من وجهها. . وتأمل وجهها المرفوع نحوه لحظة قبل أن يستقيم ويبتسم ساخراً:

- لقد تجنّبت استخدام اسمي طوال الأمسية، وأنا أصر على أن تستخدميه الآن.

تمنت ألاّ تطول هذه الأمسية، وقالت:

- واين. . يجب أن أشكرك على دعوتك اللطيفة الآن، لكن جوابي. . لا.

ابتسم لها كأنّه يعطف على طفلة:

- بالرغم من جوابك الرافض ماندي سأمرّ بك في تمام السادسة والنصف مساء الغد. . وآمل أن تكوني غيرت رأيك.

ارتد على عقبيه بدون أن ينتظر الرد، ونزل الدرج. تسمرت أماندا في مكانها حتى سمعت صوت الجاغوار الفضية تبتعد. . واين هاوسلي هو

أكثر الرجال الذين عرفتهم إثارة للسخط. . وأقفلت الباب وراءها.

جعلها رفضه المتعجرف لرأيها مصممة أكثر ومهما حدث، ألاّ تكون مستعدة له حين يصل.

فيما بعد، وهي مستلقية تحدق في الظلام. . حاولت أن تفكر بجوناس، لكن وجه واين هاوسلي لم يغب عن أفكارها. . فشلت في إبعاده حتى استسلمت فسمحت لنفسها أن تستحضر صورته. . الشعر الكثيف الأدكن، الأشيب عند الفودين. العينان البنيتان القاتمتان تحت حاجبين سوداوين، والأنف المستقيم والذقن المربع. . استحضرت شكله في تلك اللحظة التي اقترب منها وفكرت للحظة كيف سيكون شعورها لو عانقها.

تحسّست وجهها الساخن، وأحسّت بانزعاج كبير وغضب يملأها. . ما الذي يحدث لها؟ كيف تجرؤ على التفكير برجل مثل واين هاوسلي؟ لم تفهم سبب اهتمامها المفاجىء به، لكنها لن تسمح له أن يسيطر على حياتها بهذا الشكل. جو سيعود بعد ثلاثة أسابيع. . وحتى ذلك الوقت يجب أن تبقى حذرة من واين. . لديه الثراء والنفوذ، ومركز السلطة. . وهي في هذه المرحلة المبكرة، تحس أنها لو سمحت له لاستطاع استخدام سحره ونفوذه ضدها، ولتمكن أن ينسيها حبيبها جو.

واين هاوسلي ليس بالرجل الذي يمكن تجاهله. . حذرتها منه غرائزها الأنثوية. وقد تقع كالكثيرات غيرها فريسة سهلة لرجل في مثل خبرته.

تأوهت: «أوه جو! لماذا سافرت وأنا اليوم أحتاجك أكثر من أي وقت؟» لكن، هل سيتمكن جو من حمايتها بقوة من غموض لم تقدر أن تفسره؟

مسّدت وسادتها محاولة النوم بدلاً من التفكير العقيم الذي لا يؤدي إلى نتيجة.

سيكون لكل شيء تفسير آخر في الصباح. . هذا ما فكّرت فيه معزّية نفسها واستسلمت للنوم.

* * *

www.elromancia.com

٣ ـ قولي نعم

في الصباح التالي سألت سارة بإلحاح في المكتب:

ـ حسناً؟ أكانت الأمسية بالسوء الذي تصورته؟

هزت أماندا رأسها: «لا . . لكنني أفضل ألا أراه كثيراً في المستقبل».

ـ لا تقولي إنه تحرش بك؟

ردت ساخرة: «سارة . . إن رجلاً مثل واين هاوسلي لا يتحرش بفتاة».

هزت سارة رأسها بوقار حزين: «لا . . لا أعتقده يفعل» . .

أضافت بمرح:

ـ يجب أن أعترف أنني وبراد تمنينا أن يطيح بك عن قدميك.

ضحكت أماندا على اعتراف صديقتها.

ـ لم أمهله الفرصة، أما هو فتصرف تصرف السيد المهذب طوال السهرة.

تمتمت بأسى: «إن هذا لمخيب للأمل. أملت أن يجعلك تدركين أن هناك رجالاً أهم من جو ذاك لتقع الفتاة في حب أحدهم».

ـ سارة . . أنا أحب جو، وأما واين هاوسلي فـ . . حسناً . . لا أريد منه شيئاً.

ـ ويا للأسف . . فلديه كل الميزات التي تعجب النساء . . جسمه رياضي رائع، وهو ذو جاذبية قوية، هذا عدا ثرائه!

ـ قد يكون هذا صحيحاً . . لكنه لا يثير اهتمامي أبداً.

سألت سارة ساخطة:

ـ أين تناولتِ العشاء؟ في مطعم في المدينة؟

ـ لا . . بل في جناحه الخاص في الفندق.

صفرت سارة بصوت منخفض:

ـ احمدي الله لأن جو غير موجود. أكنتما بمفردكما؟

ـ كان هناك عدة خدم حاولوا جهدهم أن يشعرونا بأننا وحدنا.

ـ هل طلب منك الخروج معه مجدداً؟

ـ أجل . . لكنني رفضت.

ولكن كان عليها أن تدرك بأن واين هاوسلي قوة يحسب لها الحساب. فقد وصل إلى الشقة ذلك المساء في تمام السادسة والنصف فوجدها ترتدي سروالاً قديماً وكنزة وتجلس على سجادة في غرفة الجلوس، وأمامها قطع أقمشة تعمل على تفصيلها . . طلب منها واين هاوسلي بتشجيع من والدها أن تغير ملابسها في الحال وبعد طلبه ذاك نظر إلى ساعته وأمهلها عشر دقائق لارتداء ملابسها.

جمعت الأقمشة بسخط وتوجهت إلى غرفتها، صافقة الباب وراءها. فلينتظر في غرفة الجلوس إلى الأبد . . لكن الخوف مما قد يقدم عليه، جعلها تغير ملابسها بسرعة وترتدي ما هو مناسب . .

تبين أن المسرحية التي اصطحبها إليها تراجيديا كلاسيكية وقد دفعتها إلى حافة البكاء في نهايتها . . في أثناء وجبة العشاء أخذ يسخر منها بلطف بسبب رقة قلبها، وكان أن نجح أخيراً في جعلها تتساءل عن سبب خوفها من قبول دعوته أصلاً.

كانت أماندا هادئة الأعصاب ذلك المساء عندما تركها واين أمام باب الشقة بدون أن يلمسها. خلا تصرفه ذلك المساء من الأخطاء، كما كان في الأمسية السابقة. وبدأت تتساءل عما إذا سمحت لمخيلتها بالذهاب بعيداً، إنها واثقة بأنها لن تراه مجدداً . . فلا شك أنه بعد دعوتين متتاليتين قد سئم من صحبتها . .

ولكنها كانت مخطئة، لأنه أصبح زائراً دائماً لمنزلها في الأسبوعين التاليين. . كان إما يدعوها للعشاء في الخارج، أو يقضي الأمسية جالساً على أحد المقاعد، يتبادل وجهات النظر باهتمام مع أبيها، فيما هي جالسة تنظر بذهول إلى تجاوب أبيها مع زائرهما المهم. . لكن كان عليها أن تعترف أنه شخص يمكن الاعتماد عليه بكافة الطرق، إنه رجل يتوقع الصدق مقابل صدقه. . ربما، كانت هذه الصفات هي التي جعلت والدها يطمئن إليه في مدة قصيرة.

قال براد ليفر في صباح يوم، وهو ينضم إلى سارة وأماندا خلال فرصة الشاي:

ـ لا نراك كثيراً هذه الأيام ماندي. سمعت أنك تعاشرين زبدة المجتمع مؤخراً.

وبخته ماندي بمرح: لا تكن سخيفاً براد، ما إن يرجع جو حتى يدرك واين هاوسلي أنني لا أهتم به ولكن حتى ذلك الوقت، لماذا لا أستمتع؟

ـ لا سبب يمنعك أبداً، وأنا واثق أن جو. .

صمت فجأة بعدما ضربته سارة على ضلوعه بمرفقها، ولم تستطع أماندا إلا أن تلاحظ هذه الحركة، لكنها قررت تجاهلها لأنها تعني أن جو قد لا يكون مخلصاً لها. فهو لم يتصل بها سوى مرة في الأسبوعين المنصرمين. . فهمت أنه لن يتصل مرة أخرى بسبب ضغط العمل. ولكنه سيتصل حال عودته من «كايب تاون». . ساعدت هذه المكالمة على إحياء شوقها إليه فبدأت تعد الأيام حتى عودته.

وصلت أماندا إلى العمل ذات صباح فوجدت سارة غارقة في حديث عميق مع واين هاوسلي. كانا واقفين على الدرج المفضي إلى مدخل المكتب. . أصابها الفضول بسبب التعبير الجاد على وجه صديقتها، فتقدمت بسرعة. . ولكن سارة التي شاهدتها تتقدم أجفلت فالتفت واين بهدوء تام مبتسماً لها:

ـ صباح الخير ماندي.

ردت التحية وخداها يشتعلان لسبب مجهول. . طافت عيناه بها من شعرها الذهبي الشاحب إلى حذائها الجلدي الناعم. زادت سارة من إحراجها لأنها اعتذرت ودخلت إلى المبنى تاركة أماندا بمفردها. . حاولت أماندا اللحاق بها ولكنها وجدت ذراعه تمسك مرفقها بحزم.

ـ أتتناولين الغداء معي؟

ـ لدي بعض الطباعة أكملها ساعة الغداء.

ـ أعرف مكاناً قريباً حيث الخدمة سريعة والطعام رائع.

عرفت حتى بدون أن تنظر إليه أن في عينيه وميض سخرية والسبب ترددها في قبول دعواته. . تنهدت وهما يصلان إلى الباب:

ـ لماذا لا تقبل «لا» رداً؟

رد بكبرياء: «لأنك لا تقصدينها ماندي. . لا تنكري أنك استمتعت بصحبتي في الأسبوعين المنصرمين. أتنكرين؟»

هزت رأسها بعجز: «لا. . لا أنكر. . لكن. .»

ـ إذن لماذا تريدين باستمرار حرماني من صحبتك؟

ـ هناك جو.

ـ جو على بعد ثمانمئة كيلو متر عن «بورت اليزابيث». . لكنني هنا. سأنتظرك أمام المدخل الرئيسي في الثانية عشرة والنصف.

ارتسمت ابتسامة لا إرادية على شفتيها وهي تهز رأسها موافقة قبل أن تندفع قبله إلى المكتب. إن تصرفاته تثير التوتر وعجرفته تقطع الأنفاس، مع ذلك لا تنكر أن صحبته مثيرة لا ضجر فيها أبداً.

لم تجد أماندا الوقت لتسأل سارة عن سبب نقاشها الجاد مع واين هاوسلي، لكن كان هناك شيء في طريقة نظر سارة إليها أزعجها. من الواضح أن سارة لا تريد أن تخبرها بما كان يجري بينها وبين واين من نقاش جاد، وبما أنها تعرف صديقتها معرفة جيدة فلن تسأل.

بعد هذا الغداء مضت أيام لم ترَ فيها واين، حتى وصل إحدى الأمسيات إلى الشقة وذلك قبل ثلاثة أيام على عودة جوناس إلى «بورت

اليزابيت». . كانت أماندا تغسل شعرها بالشامبو عندما رن جرس الباب، وظناً منها أن والدها نسي مفتاحه غسلت شعرها بالماء ولفته بمنشفة قبل أن تفتح.

قالت، بغباء، عندما شاهدت نفسها في مواجهة واين:

ـ أبي غير موجود هذا المساء. . إنه يحضر اجتماعاً.

ابتسم، وأقفل الباب وراءه: «أعرف».

تبعها إلى غرفة الجلوس، حيث وقفت في وسطها حين رأته يجلس باسترخاء في المقعد الوحيد ذي المسندين الذي يمتلكانه. إنه يتصرف وكأن من الطبيعي له أن يراها والمنشفة حول رأسها.

فجأة أمسك يديها المرتجفتين وشدّهما إلى الأسفل حتى ركعت على ركبتيها أمامه. . كانت الحركة مفاجئة لذا لم تجد الوقت لتحتج خاصة عندما امتدت يداه إلى المنشفة.

قال بهدوء: «كنت أجفف شعر أختي».

أكمل ما يقوم به لشعرها حتى أحست بدغدغة لذيذة في جلدة رأسها. . كان الوضع طبيعياً، مع ذلك، لم تكن تتصور أن واين هاوسلي يقوم بعمل يدوي كتجفيف شعر امرأة ولم تفكر في الأحاسيس التي يسببها قربه منها. . في أوقات كهذه، عليها إجبار نفسها على تذكر أن قلبها ملك لجو وحده.

ـ أعتقد أن شقيقتك ماتت منذ بضع سنوات.

لم ترد مناقشة هذا الموضوع بالذات، لأنه قد يكون مؤلماً له ولكنه كان الأمر الوحيد الذي فكرت فيه عندما أحست بالحاجة إلى كسر الصمت الثقيل الذي ران بينهما.

رد بعفوية مثيرة للدهشة: «هذا صحيح. . من أخبرك؟»

ـ أبي. . ولكنني أظنه قرأ الخبر في الصحف ذلك الوقت.

قال بثبات، وهو يترك المنشفة تقع أرضاً:

ـ أجل، كانت حادثة مؤسفة وخسارة لحياة شابة.

كان في عينيه لمحة مرارة وهو ينظر إليها، ثم أدركت أنها تبدو شعثاء فاعتذرت لتتصرف. . في غرفتها مشطت شعرها بسرعة، لكن الخصلات الرطبة رفضت البقاء في مكانها. تركتها بسخط ووضعت لمسة ماكياج قبل العودة إلى غرفة الجلوس.

كان واين واقفاً عند النافذة مديراً ظهره إليها. نزع سترته فرأت أن قميصه مشتد بقوة حول منكبيه العريضين. التفت يواجهها، وكأنه أحس بوجودها. . ارتجف فيها شيء ما بسبب تجهم أساريره.

قال متوتراً: «هناك ما أريد مناقشته معك».

ـ أوه؟

ـ أماندا. . أريد منك أن تتوقفي عن خداع نفسك بأن بارسلي سيتزوجك يوماً. . لن يتزوجك.

صاحت غاضبة: «كيف تجرؤ؟»

ـ أجرؤ لأنني أهتم بما سيحدث لك عندما تكتشفين حقيقته. . واثق أنك لا تحبينه بمقدار ما تظنين.

ـ أنت مخطىء! أنا أحبه. . أحبه!

قاطعها بفظاظة: «لا. . أنت لا تحبينه! لقد سحرك بمظهره وبلسانه الحلو. إنه يوقع بك كما أوقع بالكثيرات. . ولكنك لا تحبينه».

نظرت إليه والغضب يزيد عتمة عينيها:

ـ أنا قادرة على العناية بنفسي. لا أفهم ما تحاول أن تحققه بهذه التعليقات المهينة.

ـ أحاول أن أريك أن ما تشعرين به تجاهه لا شيء إلا افتتان عابر.

هذا كثير. . سحبت أماندا أنفاساً متهدجة ورفعت رأسها إلى فوق لتواجهه بتحد.

ـ واين هاوسلي. . أنت تشق طريقك عنوة إلى حياتي. إنما لن أسمح لك بأن تملي عليّ إرادتك فيما يتعلق بمن أحب أو أكره! كيف تدعي معرفتك مشاعري. . ومن يعطيك الحق في اتهام شخص غير موجود

www.elromansia.com

للدفاع عن نفسه؟

ـ أظنك تشيرين إلى جوناس بارسلي؟

زادتها سخريته توتراً:

ـ تعرف هذا جيداً!

ـ أنا مستعد لتكرار هذه الاتهامات بوجود جوناس بارسلي.. وكم سأشعر بالسعادة وأنا أراه يتلوى خجلاً.

كان على قسماته قسوة وحشية لم ترها من قبل لكنه استعاد جأشه بسرعة. أضاف: «أماندا، أنت في غاية الطيبة، أما هو فعكسك تماماً».

ـ لا تضحكني.

ـ أتتزوجينني أماندا؟

نظرت إليه مصدومة فترة لا حد لها ثم تمكنت من لملمة قواها لتقول بحدة:

ـ أنت مجنون بلا ريب! لن أتزوجك ولو كنت آخر رجل على وجه الأرض!

التوت شفتاه الحازمتان سخرية:

ـ ولن تتزوجي جوناس بارسلي.. كل ما سيفعله هو إقناعك بأن تكوني عشيقته. لن يتزوج امرأة إلا إذا استفاد مادياً من الزواج بها.

شحب وجه أماندا: «يا له من قول فظيع تقوله!»

ـ يجب أن تقال الأشياء الفظيعة أحياناً خاصة عندما يكون هناك شخص عنيد لا يسمع النصيحة..

صاحت يائسة وهي تضع يديها على أذنيها:

ـ أرفض الإصغاء إليك! لقد قلت ما فيه الكفاية!

انتزعت أصابع قاسية يديها عن أذنيها.

ـ ما دمت لن تصغي إليّ فعليّ أن أبرهن أن مشاعرك في غير محلها.

مع أنها لم تعرف نواياه، لم تكن مستعدة لتهجمه المفاجىء على مشاعرها.. أمسكت ذراعان من فولاذ بها، تضمانها إليه.. هذا ما كانت

تخشاه. عرفت الآن سبب خوفها.. لقد اخترق عناقه دفاعاتها، فاجتذب رداً مجنوناً منها كان مخيفاً بمقدار ما هو مخدّر، فيما تسارعت مشاعر غريبة جديدة إلى أعماقها. أدركت أن عليها المقاومة.. ولكن لم يكن لديها الإرادة أو القوة للقيام بأي شيء عدا التعلق به والتمني بأن تدوم هذه اللحظات إلى الأبد.

بدا لها أن دهراً قد مرّ قبل أن يرفع واين رأسه. كانت عيناه سوداوين تقريباً فيهما شغف غير خفي. رأته بقلب صاخب يخفض رأسه مجدداً نحوها، فأحست فجأة بشيء من التعقل يومض في أعماقها.

توسلت إليه بصوت أجش: «لا! أرجوك، لا تفعل!»

لكن ذراعيه أطبقتا عليها، وهمس:

ـ كوني صادقة مع نفسك ماندي.. واعترفي أن جوناس لم يحرّك مشاعرك مثلي.

لم تستطع مجادلته بحقيقة لا لبس فيها. فهو حتى في أشد عناقاتهما لم ينجح قط في إثارة أكثر من مشاعر سطحية.

ـ واين.. توقف عن هذا! ليس لك الحق..

قال بإصرار:

ـ لي الحق بمقدار ما لجوناس بارسلي..

همست بضعف: «لا.. لا..».

ـ بلى ماندي.

ورفع رأسه، فشعرت بأن كل دفاعاتها تتدمر خاصة وهي ترى نظرته المليئة بالشغف.. أضاف: «لا تغلقي عقلك عن الحقيقة».

أصرت بصوت منخفض: «أنا أحب جو.. لماذا لا تتقبل هذا الواقع وتتركني وشأني؟»

ـ تحاولين جاهدة إقناع نفسك، أليس كذلك؟

ـ أنا غير مضطرة لإقناع نفسي.. لأنني أعرف!

سألها بعذوبة خطيرة: «أتعرفين أماندا؟»

أحنى رأسه مجدداً، فخلق تشوشاً في مشاعرها:

ـ هل أنت واثقة؟

كيف لها أن تفكر بوضوح، وعناقه يثير مثل هذه الأحاسيس المجنونة؟ عليها أن تقاوم! عليها أن تفكر في جو!

قاومته جاهدة:

ـ لا.. واين.. لا تفعل.. آه!

ـ أنت بريئة كطفلة عزيزتي.. لم تكوني قط حية كحالك الآن.. ومع ذلك ترفضين الاعتراف.

سبب لها تركه المفاجيء التهاوي إلى الخلف على الكرسي.

أضاف: «ثمة فرق بين أن تكوني واقعة فعلاً في الحب وبين أن تحبي فقط».

تحررت منه، فوجدت أن نبضاتها تخف تدريجياً، وأن غضبها يعود.

قالت بهزء: «لم أحسبك مرجعاً في هذا الموضوع!»

خشيت لبرهة أن تكون قد تمادت كثيراً.. لأن شعلات الغضب تطايرت من عينيه، قبل أن يضحك بفظاظة:

ـ حسناً أماندا.. ربحت. أرجو منك أن تقبلي اعتذاري.. مع أنني لا أستطيع أن أقول إنني نادم على ما فعلت.. لقد استمتعت بعناقك كثيراً، وكنت جاداً في طلبي يدك للزواج.

تمسكت أماندا بحافة مقعدها وهي ترفع بصرها إليه. ابيضت مفاصل أصابعها بسبب الجهد الذي تقوم به لاستعادة رباطة جأشها:

ـ لماذا يريد شخص مثلك الزواج بفتاة مثلي في الوقت الذي تجد فيه نساء عديدات رفيعات المقام من عائلات غنية نافذة في المدينة؟ أظن أن أولئك النسوة أنسب لك مني بكثير.

قال ساخراً وهو ينحني ليسجنها في كرسيها:

ـ سيضجرنني حتى الموت. أفضل أن أتزوج برزمة من الديناميت اسمها أماندا لارج.

بدت تكتكات الساعة على الجدار أعلى صوتاً، تخدش أعصابها المتوترة، فيما قربه منها يثير الاضطراب في سرعة نبضاتها، ويسرّع أنفاسها:

ـ أنا.. أنا.. لا أعرف ما أقول.

ـ قولي: نعم واين، سأتزوجك.

ما أسهل قول «نعم» لرجل مثل واين هاوسلي.. هذا ما أدركته على الفور.. إنه جذاب بطريقة جلفة قاسية، وهو ثري، وهذان عاملان قد يديران رأس أية فتاة ترغب في زواج يغنيها. لولا تأكدها من حبها لجو، لكان من السهل أن تقول «نعم» لواين.. ولكن عليها أن تدفع نفسها إلى التصديق بأن المشاعر التي أثارها واين فيها ليست سوى أحاسيس جسدية فقط.

ـ لا أستطيع واين.. تعرف أنني لا أستطيع.

التوى الفم الحازم إلى ما يشبه الابتسام:

ـ لا شيء يمنعك من الزواج بي.

ـ واين.. أنا آسفة.. لكن.. أنا لا أحبك.

تجنبت بؤس عينيه ونظرة التكذيب التي ومضت فيهما.

ـ لن نتباحث هذا الموضوع أكثر الآن.. أصدقاء؟

ضحكت بارتباك: «أجل واين.. طالما لا تتوقع أكثر من الصداقة مني».

حذرها بشدة: «أنا لا أستسلم بسهولة أماندا.. وأنا أحصل عادة على ما أريد. لكن في الوقت الراهن أراني مستعداً لوضع الموضوع فوق الثلج».

وصل هامش لارج متأخراً إلى منزله ذلك المساء فوجد أماندا بانتظاره في غرفة الجلوس المظلمة. فقال ضاحكاً وهو يضيء مصباح القراءة:

ـ إنه لأمر جديد أن أجدك في انتظاري. أرى أنك كنت بصحبة أحدهم. أكان واين هاوسلي؟

www.elromancia.com

عضت شفتها لقلق:
ـ أجل. . أبي، يجب أن أكلمك.
ـ همم. . نعم؟
ـ واين طلبني للزواج.
ـ و. . ؟
كان يصب القهوة من الغلاية الكهربائية، وظهره إليها.
ـ لا تبدو الدهشة عليك. . أعرفت أنه سيطلب يدي؟
ـ لا. . لكنني شككت في شيء كهذا. .
ارتد إليها والفنجان في يده ثم جلس إلى جانبها: «وهل قبلت؟»
ـ لا.
ـ بسبب ما تشعرين به نحو جو؟
ـ أجل.
ارتشف هامش لارج قليلاً من القهوة الساخنة.
ـ همم. . لولا جو لقبلت؟
عاتبته بلطف: «أبي، ما هذا بسؤال منصف»
ـ ليس منصفاً؟ وهل أنا على خطأ إن قلت إنك معجبة بواين؟
اعترفت، ففاجأت نفسها:
ـ أنا. . أجل، لا أستطيع منع نفسي من الإعجاب به. لكنني أخافه أيضاً.
ارتفع حاجباه الكثيفان بعدم تصديق:
ـ خائفة؟ يا الله! لماذا؟
ـ لأنني لم التق مثله من قبل. . أبي. . لماذا يريد رجل مثل واين هاوسلي الزواج بفتاة مثلي؟ لماذا يزعج نفسه بي أصلاً؟ هذا غير معقول. لقد التقينا صدفة ثم فجأة لم تعد حياتي ملكي. . لم يكن لي رغبة في رؤيته مرة أخرى. . غير أنني لم أتمكن من إبعاده.
لوحت عاجزة بيديها: «لماذا أبي؟»

ارتشف هامش قهوته بعمق، ثم مدد ساقيه أمامه، قبل أن يرد:
ـ ألا تعتقدين أن هذا كله بسبب الحب؟ لقد أحبكِ على ما أظن.
ضحكت بسخرية: «أحبني؟ لا أبي. . إن الرجل أعزب متمرس فكيف يقع فجأة في حب نكرة مثلي؟».
ـ قد تكونين مخطئة.
ـ لا. . لا بد من سبب آخر. . أنا واثقة.
ـ كنت أنا أيضاً أعزب متمرساً حتى التقيت والدتك.
ـ ولكنك مختلف عنه أبي. . لم تكن متعجرفاً، متسلطاً مغروراً.
ضحك: وكيف تعرفين أنني لم أكن كذلك؟ كنت في السادسة والثلاثين عندما تزوجت أمك. كنت مستقراً في حياتي ومعتاداً على تنفيذ ما أريد. . لكن العمر يفقد ميزته عندما تحبين شخصاً.
ضغطت أماندا أصابعها على جفنيها المغمضين في جهد لإراحة نفسها من التعب.
ـ آه! لا أعرف بماذا أفكر. . أنا مرتبكة ومتعبة بحيث أراني غير قادرة على فهم دوافع واين هاوسلي.
ساد صمت مضطرب، كسره والدها بالقول متردداً:
ـ أماندا. . هلاّ فكرت في الانتقال إلى كايب ثاون؟
أبعدت أماندا أصابعها عن عينيها بسرعة.
ـ كايب ثاون؟
ـ عرضت عليّ المؤسسة الانتقال إلى فرعها الجديد. . وسيكون ذلك نوعاً من التغيير. إنما لا ضرورة مطلقة. . هكذا. .
صمت بعدما أحست أن العالم يهتز تحت قدميها:
ـ وهل تحب أن تذهب؟
ـ عزيزتي. . من هم في مثل عمري يقبل التحدي والتغيير.
ـ وهل يجب أن أذهب معك؟
ـ أفضل هذا. وهذا يعني الفراق عن جو. .

www.elromancia.com

ترددت ممزقة بين ولائها لأبيها وحبها لجو ثم قالت:

ـ أبي.. يمكنك الذهاب بدوني.. فأنا..

هز رأسه بثبات: «أنت في العشرين من عمرك، وإن تركتك بمفردك أكن والداً يتهرب من مسؤولياته».

ـ أبي.. هناك الكثير من الفتيات في مثل سني يعشن بمفردهن.

ـ قد يكون هذا صحيحاً.. إنما ما دمت حياً وحتى تتزوجي ستبقين تحت رعايتي وإشرافي.. أمن المهم جداً لك البقاء هنا من أجل بارسلي؟

ـ أبي.. أنا آسفة.. ولكنني.. أحب جو.

ـ أواثقة؟

ـ لم أشك قط في مشاعري.

بدت ابتسامة غريبة على فم أبيها، أرسلتها مسرعة إلى غرفتها بعد تحية سريعة وقبلة على خده.. سألت نفسها وهي تنسل بين الأغطية وتستلقي محدقة في الظلام: أما زالت واثقة من حبها لجو.. أم تراها تتمسك بعناد بما لم يعد له وجود؟ يجب أن تعترف أنها في تلك اللحظات التي قضتها بين ذراعي واين شعرت بأنها غير متأكدة من مشاعرها تجاه جو.

أدارت وجهها إلى الوسادة، وارتدت أفكارها عن غير توقع إلى واين.. يجب أن تنساه.. يجب أن تنسى أنه أيقظ فيها مشاعر لم تحلم بأنها تملكها.. إنما قلبها المتسارع الضربات سخر من تصميمها الطفولي.

كانت تتناول الفطور مع والدها في المطبخ عندما رن جرس الهاتف في اليوم المقرّر فيه وصول جو.

قال الأب بسرعة: «سأرد أنا».

تركها تتساءل عن سبب قلقه.. وجدت نفسها تصغي بفضول إلى الحديث الدائر من جانب واحد.

ـ .. أجل.. لا.. لم توافق على هذا.. أجل، بالتأكيد.. لست

سعيداً بتسليم عملي إلى شخص آخر.. أجل.. أعرف أنني قادر على الوثوق بك، ولهذا.. أجل.. شكراً لك.

انتهت هذه المكالمة الحذرة الغريبة فجأة، وأحست أماندا بالحذر.. ماذا تعني هذه المكالمة؟ عبست وهي تنظر إلى طبق البيض المقلي الذي تركته يبرد، وملؤها الفضول.

قال هامش معتذراً وهو يعود إلى مقعده:

ـ آسف على هذا.

بدا لها مشغول البال غارقاً في التفكير، لكنه لم يحاول توضيح شيء وهو يصب القهوة، فسألته: «هل من خطب في المكتب؟»

ـ ماذا؟ أجل.. أمر يتعلق بالعمل.

ـ وهل ستقبل الانتقال إلى «كايب تاون»؟

ـ لم أقرر حتى الآن. أمامي مهلة تنتهي يوم الاثنين فيها أستطيع اتخاذ القرار النهائي.

ـ إن قبلت، فمتى يجب أن تسافر؟

ـ فوراً.

اتسعت عينا أماندا.. لكنها ظلت صامتة وهي تكوّم أطباق الفطور في المغسلة، وتبدأ بجليها.

كان عليها أن تفكر لتتخذ قراراً بشأن التطور الجديد.. إن مرافقة أبيها تعني الفراق عن جو فترات طويلة.. والإصرار على البقاء سيعرض فرص أبيها للخطر، لأنه سيرفض الانتقال بدونها. إنها عالقة في فخ.. كل شيء ضدها وضد جو.. إنما هذا يجعلها أكثر تصميماً على إثبات خطأ ظن الجميع.. جو لطيف طيب يحبها لذا لن تستبدله بشخص له هالة خرافية مثل واين هاوسلي الذي يستطيع أن يدفع بمشاعرها إلى الاضطراب الشديد بمجرد نظرة منه.

كانت أماندا تكنس السجادة بالمكنسة الكهربائية عندما تعالى جرس الباب بعد العاشرة بقليل من ذلك الصباح. أطفأت الآلة، واتجهت إلى

www.elromancia.com

الباب متنهدة.

ـ صباح الخير أماندا.

إنه الرجل الذي له قدرة على إثارة أعصابها.. واين هاوسلي!

***

٤ ـ رحلة بلا عودة

صدمتها ضربات قلبها التي ارتفعت بشكل واضح وهي تنظر إلى واين.. إنه خال من أي عيب كالعادة. يرتدي بذلة خفيفة وربطة عنق مماثلة.. بدا شديد الاسمرار، حيوياً، نشيطاً، واثقاً من نفسه بشكل متعجرف.

قالت بفظاظة وهي تقفل الباب لتخفي الأصوات المتناهية من الدرج: أنت أيضاً؟

تجاهل قلة لياقتها بشيء من السخرية:

ـ إنه صباح جميل. جئت أصحبك في نزهة إلى الريف.

هكذا! لم تره منذ الليلة التي طلبها فيها للزواج، وها هو الآن يصل ليقول لها بهدوء إنه يريد اصطحابها في نزهة بالسيارة.. يا للرجل المتعجرف!

قالت متجنبة نظرته وهي تعيد المكنسة الكهربائية إلى مكانها في الخزانة:

ـ أخشى أن هذا غير وارد.. سألتقي جو في المطار لأن طائرته تصل ظهراً.

ـ في هذه الحالة سأقلّك إلى المطار.

نظرت إليه فاغرة فاها، ولكن خروج أبيها من غرفة الجلوس منعها من قول رأيها فيه بالضبط.

ـ صباح الخير واين.. لم أستطع تجنب سماع ما تقول. أظنها فكرة

www.elromancia.com

صائبة أن تقل أماندا إلى المطار . . إن سيارتي تسبب لي المتاعب في الأيام الأخيرة .

كيف يجرؤان على الوقوف هكذا بهدوء يتظمان لها حياتها وكأن لا وجود لها؟ اجتاحت غضباً، فيما راحت نظرتها تتنقل من أحدهما إلى الآخر . . أضف إلى هذا أنها لم تجد عيباً في سيارة أبيها عندما استخدمتها في الأمسية السابقة .

قالت: «لكنني أفضل . . .» .

قاطعها واين بصوت فائق العذوبة :

ـ اذهبي وجددي زينتك . وسنذهب إلى هناك الآن . . فهناك ما أريد أن أريك إياه قد يثير اهتمامك .

نظرت أماندا بعجز إلى أبيها ولكنه أشار بحزم أن عليها أن تفعل ما قيل لها . . وهزت كتفها بسخط ثم تركتهما .

قال هامش وهما على وشك المغادرة :

ـ اهتم بها جيداً .

نظرت أماندا إلى أبيها بدهشة، وأحست بضغط ذراعه حول كتفيها، وبشفتيه على خدها . ما باله بحق الله؟ أهو مريض؟

ـ أعدك بهذا .

وعده واين بوقار، وهذا ما زاد اضطرابها . . ولكنها قالت بمرح إجباري، تحاول إزاحة التوتر الذي كان يحوم في الجو :

ـ لكنه سيأخذني فقط إلى المطار لأقابل جو . . لست ذاهبة إلى آخر الدنيا .

ابتسم هامش لها بحنان غير معتاد :

ـ ألا يحق لي أن أقلق على ابنتي .

لم تستطع منع الابتسامة عن ثغرها الجميل وهي تطبع قبلة على خده : أنا فتاة كبيرة أبي، وعاقلة .

ـ وداعاً، أماندا .

أخرجها واين من الشقة . لم تكن سيارته الجاغوار الفضية المتوقفة أمام المبنى بل سيارة مرسيدس أنيقة فيها سائق يرتدي معطفاً أبيض ويعتمر قبعة، فتح لهما الباب الخلفي بحركة أنيقة . . نظرت إليه وهي في المقعد الخلفي الأنيق قرب واين متسائلة .

قال يفسر لها: «أطلب أحياناً خدمة سائقي الخاص . . فالجلوس مسترخياً مستمتعاً بالمناظر، تغيير أرحب به» .

لم تستطع إلا أن تقول ساخرة :

ـ هذا يبدو غريباً من شخص يحب أن يكون دائماً المسيطر على كل المواقف .

انطلقت السيارة باتجاه منتصف المدينة . الواضح أنها ستسلك أطول طريق وصولاً إلى المطار .

قال لها بلطف وهما يتركان زحام المدينة خلفهما :

ـ ستكتشفين يا أماندا أنني من البشر وأن لي مشاعر كسائر الناس . . لا أحد كامل .

كان يتكلم وكأنه ينوي متابعة علاقتهما . . لكن عليها أن تحرره من وهمه حالاً . .

أدارت وجهها إليه: واين . . هناك ما أريد أن أوضحه لك . . لا أريد رؤيتك ثانية بعد اليوم .

توقعت السخرية . . ولكنها وجدت نفسها غير قادرة على الجدال مع رده الهادىء المتسلط .

ـ هلا تركنا هذا الأمر جانباً حتى نصبح بمفردنا؟

صمتت أماندا وهي لا تلقي اهتماماً لما يحيط بها، لأنها أحست بيده على المقعد بينهما قريبة من يدها . .

انطلقت سيارة أمام السيارة، فأدار السائق سيارته بعنف، متجنباً بدقة الاصطدام بشاحنة وبسيارة أخرى تسير عكس السير . رمتها حركة السيارة المفاجئة نحو واين الذي أطبقت ذراعاه عليها فوراً .

ـ هل أنت بخير؟

تمتمت: «أجل . . أجل . . أظن هذا».

لكن ضغط ذراعيه لم يخف لأنها ما زالت ترتجف من الصدمة . .

أبعدت أماندا نفسها بحذر من بين ذراعيه، واستقامت. ولكن الحادثة المؤسفة أزعجتها بشدة فسرت في جسمها موجة من الارتعاشات . . لقد شاهدت تلك السيارة برهة قبل أن تختفي في شارع «هاموود» وكانت سيارة جو . . أو سيارة تشبهها . . لكن جو في «كايب تاون» . . أليس كذلك؟ هل عاد بدون أن يتصل بها؟ لكن لماذا؟ سحبت نفساً مضطرباً ووبخت نفسها بشدة على شكوكها . . ولكن الغلطة غلطة واين، فلولا تلميحاته لما فكرت في إمكانية أن تكون تلك السيارة سيارة جو . . فما زال جو في «كايب تاون» . . ولن تصل طائرته قبل الساعة الثانية عشرة، كما قال لها.

عندما وصلا أخيراً إلى المطار، ساعدها واين على الترجل من السيارة، ميقياً يده على ذراعها وهما يدخلان المبنى.

ـ ما زال أمامنا وقت طويل، فلنطلب إبريق شاي في المطعم.

رافقها إلى المطعم بدون أن ينتظر ردها . . وجد طاولة قرب النافذة، وطلب ما يريدان حال ظهور الساقي . . ثم ساد صمت متوتر بينهما حتى وصل الشاي.

صبت أماندا الشاي بصمت، ثم احتسته بصمت . . ساعدها الشاي على تهدئة أعصابها، وأعاد اللون إلى خديها . .

سأل واين فجأة: «هل تنتظرين بشوق رؤية جوناس مجدداً؟»

ـ نعم.

ـ يا للأسف.

وضعت فنجانها على الصحن بحدة: «إن كنت ستبدأ في أن تكون بغيضاً . . »

مال إلى الأمام ينظر إليها والمكر في عينيه:

ـ أتعرفين أن عينيك تصبحان ليلكيتين قاتمتين عندما تغضبين أو تضطربين عاطفياً؟

تأرجحت أماندا بين الغضب والإحراج.

ـ أنت أكثر الرجال إثارة للاضطراب والارتباك.

ـ وهل تجدين الحقيقة مثيرة للاضطراب؟

ـ عندما تكون موجهة لي شخصياً . . أجل.

ـ ألم يخبرك جوناس قط أنك جميلة؟ وأن شعرك كغزل الذهب، وأن عينيك ملفتتان للنظر . . وأنفك منحوت بدقة وثغرك رائع مكتنز؟

كان وجهها قد التهب خجلاً في الوقت الذي أنهى فيه وصفه لها . . غضت طرفها بسرعة متجنبة سخريته وتمكنت من القول:

ـ أيجب أن تقول هذه الأشياء؟

ـ أجد توردك مثيراً للاستغراب . . وبراءتك آسرة . . أنت بكل تأكيد غير مدركة لمظهرك المغري؟

عضت أماندا شفتها بعصبية، ماذا تفعل وهو في مثل هذا المزاج . . قالت: «لا أريد أن أكون مغرية».

ضحك: «لا أقول هذا وكأنه خطيئة رهيبة! لو لم يجد آدم حواء مغرية، لما وُجد الجنس البشري الآن».

ارتسمت ابتسامة على ثغرها، ولكنها اختفت بسرعة عندما لاحظت تجهماً مفاجئاً في ملامحه. تبدل مزاجه بسرعة . . في لحظة أمطرها باهتمامه، وفي التالية بدا ضجراً من التطرق إلى الحديث الدائر . . وهذا مربك . . دفعت فنجانها الفارغ جانباً ونظرت من النافذة إلى طائرة البوينغ التي تسير فوق الممر المخصص لها . .

سألها فجأة: «هل سافرت بالطائرة من قبل؟»

ـ لا.

ـ أترغبين في السفر؟

مررت أصابعها على قماش الطاولة:

ـ عندما تتاح لي الفرصة . . أجل .

ـ لدي طائرة صغيرة هنا في المطار . . قد أطير بها من أجلك ، ثم أعود بك في الوقت المحدد لملاقاة بارسلي . . هل نذهب؟

ـ لا أدري . . أنا . .

ـ هل أنت خائفة؟

قالت تكذب بشجاعة : «لا!»

ـ فلنذهب إذن .

لم تكد تستطيع الإمساك بحقيبة يدها وهو يدفع الحساب ويرافقها إلى بوابة خروج . تبين لها أن الطائرة الصغيرة طائرة فاخرة فيها أربعة مقاعد ، لونها أبيض وأحمر . . صعد واين على متنها قبلها ثم التفت إليها .

ـ أعطيني يدك .

وحمدت الله لأنها ترتدي البنطلون بدل التنورة التي تختارها عادة .

ارتجفت يداها وهي تشد حزام الأمان ، واضطر واين إلى الميل من فوق عجلات القيادة ليؤمن لها القفل . . سأل بنفاد صبر : «مستعدة؟»

ابتلعت ريقها بصعوبة وتمكنت من القول : أجل .

ـ حسناً . . ها نحن ننطلق .

وضع السماعتين على أذنيه بعدما شغل المحرك وأحست أماندا بالارتجاج العنيف تحتها وهو يطلب الإذن بالإقلاع . تبع هذا نقاش له علاقة بالطيران ، لم تتمكن من فهمه ، ثم ، فجأة ، تحركا إلى الأمام متوجهين إلى المدرج المحدد لهما ، بدت رحلة طويلة لا نهاية لها . عندما جذب واين المقود لتسرع الطائرة تمسكت أماندا بالمقعد .

أغمضت عينيها بشدة في أثناء ارتفاعهما في الجو ، في تلك اللحظة تمنت لو رفضت المجيء معه .

صاح فوق هدير المحرك : «افتحي عينيك الآن» .

فتحت عينيها فالتقت نظرته الساخرة . . كان يعي توتر أعصابها ، ويستمتع بارتباكها .

ـ استرخي ماندي . . واستمتعي بالطيران . لا أنوي إخافتك بحركات بهلوانية .

صرت على أسنانها : «ما هذا ببعيد عنك» .

ـ لا تغريني يا عزيزتي .

كان إنذاراً عرفت منه أن من الأفضل ألا تتحداه . . نظرت من النافذة فرأت المدينة المزدحمة تحتهما . . بدت الأبنية المرتفعة على طول شارع «ماين» صغيرة عن الارتفاع . ثم ، لمّا تركا كل ما له صلة بالبناء خلفهما ، بدأت تسترخي تدريجياً وتستمتع بمنظر الريف تحتها . وما إن تلاشى خوفها حتى شعرت بروعة تأمل الدنيا عن هذا الارتفاع . . كان يوماً دافئاً ، فيه الرؤية واضحة بحيث استطاعت رؤية مناظر تخطف الأنفاس ؛ مناظر الوديان والأنهار التي تشق طريقها بين التلال متدفقة بين قرى صغيرة جميلة مستقرة على ضفافها . .

قطع واين عليها أفكارها ، مشيراً إلى غابة كثيفة تحتهما :

ـ لو نظرت إلى الأمام مباشرة لرأيت محمية أفيال «آدو» .

ـ وهل قطعنا كل هذه المسافة في وقت قصير؟

ـ أجل . . هل يدهشك هذا؟

عضت على شفتها ونظرت إلى ساعتها :

ـ يدهشني . . لكن . . أليس علينا العودة؟

نظر إلى عينيها الملهوفتين :

ـ ولم العجلة أماندا؟ ظننتك مستمتعة بما ترين .

ـ أنا مستمتعة فعلاً . . لكن هل لديك ما يكفي من وقود للعودة إلى بورث اليزابيت؟

رفع حاجبه ساخراً :

ـ وهل تشكين في قدراتي كطيار؟

ـ لا . . لا . . بالتأكيد لا .

أعاد اهتمامه إلى الساعات المتعددة أمامه : أنت آمنة معي .

ظلت أماندا صامتة فترة طويلة، لكنها لم تعد تستطيع كبح نفسها عندما طارا فوق جبال «سوربورغ» وبحيرة «منتز». قالت معترضة اعتراضاً ضعيفاً:

ـ واين، تكاد تبلغ الحادية عشرة والنصف. يجب أن نعود الآن، وإلا لن أصل في الوقت المحدد.

قال لها بعذوبة: «أخشى أن يكون جوناس مضطراً لتدبر أمره بلا لجنة استقبال. فهناك ما أريد أن أريك إياه».

أحست ببرودة الخوف التي جعلت بشرتها تتقلص وهي تنظر إليه برعب:

ـ واين. لن تفعل هذا! أرجوك عد بنا.

أجاب غير نادم:

ـ آسف ماندي. لدي ما يكفي من وقود للوصول إلى حيث نقصد.

ـ وما هو المكان الذي نقصده؟

نظر إليها بسرعة:

ـ سترين بنفسك بعد أقل من ربع ساعة.

وضعت يديها في حضنها تقاوم غضباً لا يمكن السيطرة عليه بسهولة:

ـ أظنك تعتبر نفسك ماهراً.

ـ أجل. أظن هذا.

أدركت فجأة ما يرمي إليه.

ـ لقد خططت لهذه الرحلة لئلا أكون في المطار لاستقبال جو. . ؟

كانت ابتسامته مثيرة للسخط:

ـ وكانت خدعة ماهرة.

تأوهت عاجزة تسند رأسها إلى ظهر المقعد:

ـ لا أدري ماذا ستكسب من هذا كله، لكنني سأقول لك الآن إنك لن تنجح مهما فعلت.

رد فجأة وشفتاه تشتدان:

ـ سترى. أماندا. اجلسي جيداً فالطائرة ستحط.

أغمضت عينيها بشدة فيما كان المدرج يتصاعد ليلتقي بالطائرة. .

أحست بصدمة الإطارات تلامس الأرض، ثم سمعت توقف المحرك الصاخب تدريجياً. فتحت عينيها وهي تشعر بالراحة لأن الطائرة تسير نحو «هنغار» يقف قربه لاندروفر. لوح لهما راكب اللاندروفر المكشوف بلهفة ورد عليه واين التحية، وابتسامة رضى تضيء ملامحه الصارمة.

قال لها وهو يطفىء المحرك:

ـ هذا توماس. إنه يهتم بالمركبات كما أنه مدير عام متجول.

ساعدها على الترجل ثم ارتدّ إلى الرجل الملون المتوجه نحوهما مرحباً به. كان يرتدي بنطلوناً وقميصاً كاكياً، ويعتمر قبعة قديمة منخفضة فوق عينيه تحميه من أشعة الشمس المتوهجة، صافحه واين ثم شد أماندا إلى جانبه:

ـ توماس. هذه الآنسة أماندا لارج.

لامس توماس قبعته باحترام:

ـ سعيد بمعرفتك آنسة أماندا.

التفت ثانية إلى واين.

ـ طلبت «المدام» أن أصطحب السيد مباشرة إلى المنزل.

هز واين رأسه:

ـ أراهن أن عمتي العجوز العزيزة ليزا قد أجهدت نفسها في تحضير الطعام. فقد أرسلت لها رسالة هذا الصباح أخبرها بقدومي.

ضحك توماس وهو يصعد اللاندروفر:

ـ تحضير البخنة هي الكلمة الصحيحة سيد واين.

افترضت أماندا أن لكل هذا علاقة بوصولها غير المتوقع. الواضح أن العمة ليزا، كائناً من تكون، لا تشعر بالإثارة بسبب وصول زائرة غير مرغوب فيها. . نظرت إلى ساعتها، متنهدة في سرها، لقد تجاوز الوقت

منتصف النهار وهذا يعني أن جو وصل إلى «بورث اليزابيث» . . ولكن ليس عليها إلا احتمال هذا التأخير البسيط الذي سببه واين، والتطلع شوقاً لرؤية جو هذا المساء .

بعد هذا القرار نظرت حولها باهتمام للمرة الأولى، فأدركت أن هذه هي «الكارو» لكنها لا تعرف بالضبط موقعها. اصطدم اللاندروڤر بيقعة من الأرض غير مستوية، فتمسكت بظهر مقعد واين الذي استدار في مقعده:

ـ آسف على هذا. خربت الأمطار الأخيرة الطريق ونحن نكاد نصل.

لمحت بين الأشجار منزلاً. ولكن رأس واين وكتفيه العريضتين حجبا المنظر. . مروا بقنطرة حجرية مطلية بالأبيض عليها اسم «هاوسلي بوست» الذي حفر بشكل بارز وبحروف سوداء كبيرة. إذن هذه إحدى مزارعه. . ومروا بجادة تحيط بها الأشجار. . لكن لماذا جلبها إلى هنا بحق الله؟

عندما خرجوا من بين ظلال الأشجار شهقت أماندا بحدة بعدما لاح المنزل أمامها. كان كبيراً مهيباً مرتفعاً وعريضاً من الجهة الشمالية حيث ممرات مرصوفة تشق طريقها في حديقة فاخرة تشبه واحة في صحراء. . كان هذا ما لاحظته فيما اللاندروڤر يتهادى ليتوقف أمام درجات حجرية تفضي إلى الباب الأمامي. . أفضت الدرجات الدائرية إلى باب من السنديان الثقيل، فوقه سقف مستدير، يحيط به حديد مشغول مركز على أعمدة حجرية منقوشة. .

أحست أماندا بتوتر مفاجىء وهي تقف هناك قرب واين، وارتجفت في داخلها بسبب أصابعه القوية التي تطبق على ذراعها. . قاد توماس اللاندروڤر مبتعداً وهما يرتقيان العتبات.

قال واين بهدوء: «أهلاً بك في منزلي أماندا».

ـ منز . . منزلك؟

لقد عبث الريح بشعره وهو في اللاندروڤر المكشوف، وها هي غرته تتدلى على جبهته. . فبدا مختلفاً بطريقة ما: أقل قسوة. . ولكن مظهره لم

يخدعها.

ـ هذا منزلي عندما لا أكون في المدينة. . لقد ضم بين جنباته أربعة قرون من أعمار أفراد عائلتي. . بما فيهم أنا. . وسيكون منزل أولادي من بعدي.

أولاده! لم تفكر في سماعه يتحدث عن أولاده. . إن الزواج والأولاد شيئان يجد المرء صعوبة في ربطهما مع واين هاوسلي، الأعزب المتمرس.

انفتح الباب السندياني الثقيل الذي وقفت فيه امرأة، طويلة مستقيمة الجسم، ترتدي فستاناً أسود. شعرها رمادي مسرح إلى الخلف، ومعقوص في مؤخرة عنقها. . كان الشيء الوحيد الذي يبدو حياً في ملامحها الجامدة وميض الرفض في عينيها.

صاح واين «عمتي ليزا».

وتقدم يطبع قبلة على خدها النحيل، ثم ارتدّ ليشير إلى أماندا:

ـ عمتي هذه أماندا لارج. . أماندا. . هذه عمتي ليزا بيتسي المرأة الوحيدة التي تجعلني أقفز رعباً عندما تفرقع بسوطها.

لم تخفف ملاحظته الممازحة من نظرة الرفض في عينيها ولكنها ردت تحية أماندا الخائفة بصوت جهوري واضح، ولطيف:

ـ إن رافقتني من هنا أريتك غرفتك آنسة لارج. أنا واثقة أنك راغبة في الانتعاش قليلاً قبل الغداء.

تمتمت أماندا: «شكراً لك».

كان الصمت متوتراً وهي تلحق بليزا بيتسي إلى الردهة الضخمة الفخمة ذات الأثاث الخشبي والثريات المتدلية من سقفها المرتفع. . المكان في الداخل بارد، لذا ارتجفت أماندا قليلاً، تتساءل عن هذه المرأة إن كانت تتصرف دائماً على هذا النحو من عدم الترحيب.

فتحت باباً يؤدي إلى إحدى الغرف، تنحت جانباً لتدخل أماندا. كانت الغرفة مفروشة كلها بالسجاد، في وسطها سرير قديم الطراز من

www.elromancia.com

النحاس. . تلمست أماندا غطاء السرير ثم ارتدت مرتبكة نحو المرأة العجوز.

ـ إنه في غاية الجمال. . هل صنعته بنفسك سيدة بيتسي؟

ـ لا. . صنعته أم واين قبل موتها بقليل. . الحمام هناك. . أنا واثقة أنك ستجدين فيه كل ما يلزمك.

ـ لطف منك أن تسمحي لي باستخدام هذه الغرفة في الساعة التي سأمضيها هنا.

نظرت إليها المرأة باستغراب. . وكأنها على وشك أن تقول شيئاً ذا أهمية ولكنها عادت فغيرت رأيها، واستعادت تجهمها لتقول:

ـ عندما تصبحين على استعداد، انزلي إلى غرفة الطعام يا ابنتي. الباب الأول إلى اليمين في أسفل الدرج.

ارتدت المرأة على عقبيها قبل أن تستطيع أماندا شكرها.

حاولت أماندا إبعاد القلق الذي ساورها، ودخلت إلى الحمام. . لا شك أن هذا الجناح جناح امرأة. . أهي شقيقة واين؟ تساءلت بفضول وهي تغسل وجهها ويديها وتستخدم المنشفة الموضوعة أمامها.

وجدت مشطها في حقيبة يدها، فمررته في شعرها قبل أن تعيد لمسات الماكياج. . على طاولة الزينة في غرفة النوم، وجدت فرشاة ومشطاً عليهما أحرف ن. . هـ. . محفورة. إذن كانت على حق عندما ظنت أن هذه الغرفة غرفة شقيقته. . كيف كان شكلها؟ وماذا يعني الحرف ن؟ نادين، ناومي؟ أم نانسي؟

أقفلت حقيبة يدها بحدة. . من الأفضل ألا تترك واين وعمته منتظرين وإلا انصبَّ المزيد من الرفض على رأسها، فيما كانت واقفة مترددة أمام غرفة الطعام، سمعت أصواتاً من الجهة الأخرى. . الواضح أن واين وعمته يناقشان أمراً ما. كان النقاش حامياً ومع ذلك كبحت أماندا اندفاعاً متهوراً لاستراق السمع ودخلت إلى غرفة الطعام.

مرت الدقائق، فاستدارت بضجر نحو النافذة. علامَ يتجادلان؟ ثم

أغرقت نفسها بتأمل الحديقة. . وكانت غارقة في جمال هذه الجنة التي تنيرها أشعة الشمس عندما قفزت مذعورة حين تكلم واين إلى جانبها.

ـ أعتذر لأنني أبقيتك منتظرة أماندا. . اضطررنا إلى مناقشة مسألة عاجلة.

ـ لا بأس في هذا أبداً. كنت أتأمل منظر الحديقة الخلاب.

قالت ليزا: هل نتناول الغداء الآن؟

لم تأكل أماندا كثيراً بسبب العداء الذي يطوف في الجو وبسبب نظرات ليزا إليها. ما هي الأفكار التي تدور في رأس صاحبة العينين الرماديتين؟ أمن الغرابة أن يصحب واين أنثى غريبة أم أن نقاشهما العنيف قبل الطعام لم يكن يتعلق بها؟

قدم الشاي في غرفة الجلوس، التي تضم بين جنباتها مدفأة حجرية ضخمة، كانت مزهريات من البورسلان الفاخر تزين طاولات تقع قرب الجدران، إضافة إلى مزهرية من الزهور الملونة موضوعة على طاولة منخفضة وسط الغرفة. إنها غرفة عائلية، لكن الجو المتزمت الذي يطغى عليها يجعلها باردة.

سألها واين: «هل أعجبك منزلي ماندي؟»

ـ إن القليل الذي رأيته منه جميل.

وقف يسحبها معه على قدميها:

ـ دعيني أريك الحديقة. . إنها فخر عمتي ليزا وفرحها.

قاد أماندا من الأبواب الزجاجية المزدوجة، ثم نزلا إلى درج قصير.

قالت تردد صدى أفكارها الأولية:

ـ إنها كالواحة وسط الصحراء.

أمسك بذراعها وهما يسيران في الحديقة حيث وجدت نفسها تسير تحت أشجار ظليلة، وتقطع جسوراً تتدفق تحتها ساقية صناعية دقيقة التوزيع ثم تتوقف أمام ورود بنفسجية وأمام بركة فيها أسماك ذهبية.

قالت أماندا بصدق لاهث:

www.elromancia.com

ـ إنها جميلة! . . لا شك أنك تجد حماستي مضجرة . . وأنا آسفة .

ـ الحماسة الصادقة لا تضجر أبداً أماندا . . إنها ساحرة تعالي لتجلس .

جلست قربه فوق مقعد خشبي تحت شجرة سنديان وتذكرت أماندا الأحداث التي قادت إلى هذه الزيارة الإجبارية، ونسيت جمال الحديقة .

ـ حسناً واين . . لقد مرحت كما تشاء . . هلا أعدتني الآن إلى «بورث اليزابيث»؟

تمهّل في إشعال سيكارته قبل أن يستدير ليواجهها، وكان على فكه حزم أثارها :

ـ نسيت أن أبلغك أماندا أنك باقية هنا فترة .

سمعت نفسها تردد بصوت مخنوق : «أنت تمزح» .

ـ لم أكن قط جاداً كحالي الآن .

ـ ولكنني لا أستطيع البقاء هنا!

ـ لماذا؟

ـ والدي . .

ـ يعرف والدك أنك هنا وهو موافق على ذلك .

التفت الدنيا من حولها بجنون وهي تقاوم لتفهم كلامه غير المعقول . . تمسكت بالمقعد تحتها لتدعم نفسها، ورفرفت عينيها بجهد لتستعيد رؤية وجهه :

ـ أتعني . . أنك خططت معه . . لهذا الاختطاف . . ؟

ـ بالضبط . . اتصلت به هذا الصباح لأخبره أنني رتبت أمر كل شيء .

ـ لكـ . . لكن . . لما . . لماذا؟

سحب واين أنفاساً عميقة من سيكارته، ثم سحق ما تبقى تحت قدمه :

ـ شعرت أنا ووالدك بأن من مصلحتك عدم رؤية جوناس بارسلي مرة أخرى . . على الأقل حتى تتخلصي من وهم حبك له .

تصاعد غضبها الذي أرسل الدم حاراً في شرايينها :

ـ لا أظن أنه تبادر إلى ذهن أي منكما أنني لا أريد أن أتخلص من هذا الوهم؟

ارتفع حاجباه سخرية :

ـ ما أخشاه يا أماندا أن عليك حتى تتخلصي منه البقاء هنا في «هاوسلي بوست» .

أحست برغبة في صفع هذا الوجه . . لكن خوفها من العواقب أبقى يدها المرتجفة في حضنها .

ـ أنت وأبي مجنونان لأنكما ظننتما أنكما قادران على إبقائي هنا رغم إرادتي! هناك عملي، مثلاً . . لا أستطيع البقاء بعيدة هكذا .

التوت شفتا واين ساخراً :

ـ لم يعد لديك عمل، فقد اتخذت قراراً باستبدالك . كان عليّ أن أكسب ثقة صديقتك سارة التي ساعدتني على إيجاد بديلة مناسبة .

إنها الضربة القاضية، لكنها ضربة شرحت تصرف سارة الغريب في الأسبوع المنصرم . تهاوت أماندا على ظهر المقعد الخشبي، وأخفضت رموشها بسرعة لتخفي دموع العجز التي أحرقت عينيها .

قالت ببلادة حس، وأصوات زيزان الحصاد تخدش أطراف أعصابها المتوترة :

ـ فكرت في كل شيء . . أليس كذلك؟

رد عليها بلا رحمة :

ـ أنا لا أؤمن بأنصاف الحلول . . في هذه الأثناء يتم توضيب ثيابك وأغراضك، ولكنها لن تصل قبل الغد . وحتى ذلك الوقت عليك الاكتفاء بثياب شقيقتي . . كانت أطول منك بكثير ولكنها نحيلة مثلك .

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ انتظري الربيع

ران صمت ثقيل عقب قول واين . . صمت استوعبت أماندا خلاله بأنه جاد بشأن إبقائها هنا فترة غير محددة . . امتدت يداها المرتجفتان بتوتر وإشارة توسل، إنما لتعودا بعجز إلى حضنها.

سألت أخيراً لمّا استردت سيطرتها على صوتها:

ـ هل كان طلبك الزواج بي جزءاً من هذه الخطة الشيطانية؟

ابتسم: «ليس تماماً . . ولكن لو قبلت لكان الأمر أسهل . . ولما كان هناك حاجة إلى اختطافك».

ـ يذهلني أن يبلغ بك الأمر حدّ التخلي عن حريتك، من أجل تحطيم العلاقة بيني وبين جو . .

ـ لا عزيزتي . . أنت على خطأ . . طلبتك للزواج لأنني أردتك زوجة لي . . وما زلت أنوي إقناعك بالقبول.

ـ لماذا؟

هز كتفيه بلا اكتراث: «فلنقل إنك المرأة الوحيدة التي شعرت بأنها تناسبني زوجة».

أحست أماندا بجرح غريب: «تذكر المسألة بدم بارد».

رد ببرود: «ربما هو هكذا . . هناك شيء آخر عليّ إخطارك به وهو أن والدك قبل نقله إلى «كايب ثاون» وسيتم الأمر يوم الاثنين».

ارتجفت وقد تجدد غضبها:

ـ إن هذا ملائم جداً . . أحس بأنني طفلة مزعجة مذنبة، تنتقل من أحد

الأبوين إلى الآخر حينما يصبح حملها ثقيلاً.

ـ ما أنت بطفلة أماندا . . أنت امرأة ناضجة . . وما أنا بأحد والديك، بل الرجل الذي يأمل أن يتزوجك يوماً، بعدما تعترفين بخطأك وبعدما تدركين أن عاطفتك لم تستيقظ حتى الآن.

ـ لن أتزوجك أبداً. سأرحل من هنا، بطريقة ما!

مال إليها، وفي وجهه التهديد:

ـ يجب أن أحذرك عزيزتي، لن يسمح لك بالهرب . . تلقى موظفي الأوامر بمراقبتك . . وبما أنني غير مضطر للعودة إلى المدينة حتى الشهر القادم فقد قررت مراقبتك بنفسي كاحتراز إضافي.

صاحت غير مصدقة: «شهر! شهر كامل! لا يمكنك حجزي هنا لهذه المدة؟»

ثبتتها عيناه الخاليتان من الرحمة إلى مقعدها . . ليست المرة الأولى التي لاحظت فيها لون عينيه الغريب . . اللون البني القاتم والإطار الذهبي الذي يعطي المرء انطباعاً بأن اللهب يشب منهما عندما تواجهان أشعة الشمس . . عينان جميلتان . .

قال لها بفظاظة: «سأحتجزك مدة أطول إن أصريت على نزواتك السخيفة».

قالت باندفاع: «أكرهك واين هاوسلي . . وأظنك وأبي تصرفتما بشكل كريه».

ـ إن تصرفنا يصب في خانة مصلحتك فقط.

ـ مصلحتي وسعادتي مع جو . .

ـ كلام جريء أماندا ولكنه غبي.

هبَّ على قدميه، يجرها معه لتقف:

ـ تعالي . . أنت متعبة ومتضايقة . . أقترح أن تستلقي قليلاً حتى أرسل لك من يستدعيك لتناول الشاي.

ـ لا أريد أن أستلقي . . شكراً لك.

- لا تكوني كالأطفال أماندا.

- إذا ظننت أنني سأجلس بإذعان وأسمح لك بتنفيذ خطتك المثيرة للقرف، فأنت مخطىء.

رفعت ذقنها بتحد: «سأقاومك حتى النهاية».

ضحك: «طالما أعجبتني الشجاعة أماندا.. وكنت سأكون خائب الأمل لو رضخت للأمر الواقع بلا مقاومة».

صاحت بغضب: «أنت لا تطاق».

ثم ارتدت على عقبيها تركض والدموع تعمي بصرها مرة أخرى.

لم يكن هناك أحد في المنزل عندما دخلت. كان الصمت يلف المنزل وكأن كل شيء توقف عن الحركة في قيظ حر الظهيرة.. من الواضح أن الجميع يأخذ قيلولته بعد انتهاء الغداء..

وجدت غرفتها دون صعوبة، واكتشفت أن أحداً أقفل الستائر أمام شمس الظهيرة فأصبحت باردة. أغواها السرير القديم الطراز بالاستلقاء، وخضعت أماندا أخيراً إلى إغوائه. نزعت حذاءها، واستلقت بثيابها على الفراش.

فكرت متألمة: آه جو..! كيف ستتحمل هذا الفراق غير الضروري؟ كيف لي أن أقنع واين أن ما تشعر به هو حب صادق؟

أدارت وجهها تدفنه في الوسادة. لاحظت أمام دهشتها ما لم تلاحظه من قبل.. قرب السرير، على طاولة صغيرة، جهاز هاتف.. لا شك أن جو في شقته، إن اتصلت به هرع إليها ليأخذها وعندئذ لن يستطيع السيد الجبار واين هاوسلي أن يفعل شيئاً. رفعت السماعة وخفقات قلبها تتسارع من الإثارة ولكن ما هي إلا لحظة حتى انقطع الخط، وعمّ صمت مطبق.

جاء صوت واين عبر الهاتف:

- أماندا.. هاتفك موصول بهاتفي هنا في المكتبة، وبالهاتف في الردهة. فإن كنت تفكرين في الاتصال ببارسلي لطلب العون فانسي

الأمر. تركت له رسالة في شقته أخبره بأنك هنا، ولا شك أنه تلقاها الآن.. لذا لن يفعل شيئاً ليساعدك.

وجدت أماندا صوتها بصعوبة: «لماذا تظنه لن يهرع إليّ لمساعدتي إن طلبت منه المجيء؟»

- لأنني أعرف جوناس بارسلي، إنما إذا أردت برهاناً، فهيا، اتصلي به.

وأعاد السماعة إلى مكانها.

سيأتي جو. بالطبع سيأتي! ولكن الخوف من أن تتأكد شكوك واين، جعلها تضع السماعة مكانها، وكأنها أحرقت أصابعها فجأة.

افترضت أن واين علم أنها أعادت السماعة إلى مكانها بدون أن تطلب رقماً. وتصورت تلك النظرة الراضية عن النفس وهي ترتسم على وجهه. لقد ربح هذه الجولة، ونجح بذكاء في دس بذرة الشك في رأسها.

عادت إلى الاستلقاء على الوسادة.. وأغمضت عينيها، شادّة قبضتيها بقوة إلى جانبيها.. تصورت مجدداً عيني واين الغريبتين، والطريقة التي نظر فيها إليها في الحديقة.. لقد نجح في اختراق دفاعاتها، بحثت عيناه بعمق وبشكل مثير للاضطراب في روحها تاركاً إياها بلا دفاع.

هزت رأسها لتحرر نفسها من هذه الأفكار وأخذت تتساءل عن مدى غبائها الذي جعلها تقع في هذا الفخ: أن تحمل كفتاة على جواد أبيض على يد فارس، إلى قصر الفارس في مكان معزول.. ضحكت وهي تفكر في واين كفارس وتصورت طائرته الصغيرة الجواد الأبيض، ومنزله القصر. هذا أمر سخيف! لكن رومانسية الموقف لم تفتها، وصاح بها قلبها أنها دجالة.

واين هاوسلي ذو شخصية قوية، جذابة.. وليس رجلاً يمكن التغاضي عنه أو الإقلال من شأنه.. على الرغم من أنها وجدت هذه الأفكار كريهة، فقد اضطرت للاعتراف بأن جو لا يقارن بواين في هذا المجال. جو وسيم، لطيف، وساحر.. عاطفي ومتهور لكنه مرح. إنه

في بعض الأوقات كالولد المشاكس ولكنه. . رومانسي. . أما واين فعلى العكس، ناضج غير مشاكس. إن كل ما فيه يدل على نضجه. طريقة عناقه، إجبارها على إطاعته وفرض الأمور عليها.

اشتعلت خداها فجأة وهي تتذكر اللحظات التي كانت فيها بين ذراعيه. . قال لها واين إنه ينوي إقناعها للقبول بطلبه. . فهل سيستخدم الأسلوب نفسه؟ ودفنت وجهها في الوسادة بعدما اقشعرت بشرتها بسبب تذكرها عناقه.

لا. . سيكون من السهل أن تنسى جو، وأن تتخلى عن مقاومة المشاعر التي تتضاعف قوتها في نفسها. . ويجب أن تقاوم! لقد حذرها واين من جو، لكنها في خطر داهم أكثر أمام واين. . كانت مع جو قوية التفكير والقلب ولكنها مع واين تضعف بشكل غريب لا تفهم له سبباً فهو قادر على أن يلوي إرادتها كما يلوي غصن شجرة بين أصابعه.

بعد الظهر عندما نزلت لتناول الشاي لم تجد واين في غرفة الجلوس بل كانت العمة ليزا بمفردها. فقالت معتذرة:

ـ أتنتظرينني منذ فترة؟

لكن ليزا هزت رأسها الرمادي الشعر وبدأت تصب الشاي. . نظرت أماندا حولها:

ـ ألن يأتي واين لتناول الشاي؟

قالت المرأة:

ـ طلب مني أن أقدم اعتذاره. لقد امتطى أحد الجياد ليتفقد مخيمات الرعي الجديدة. إنه يفضل الخيل على اللاندروفر.

صبت الشاي، وأشارت إلى أماندا أن تضع ما تشاء من السكر والحليب. . أحست أماندا بفراغ غريب، وفي الوقت نفسه بالامتنان لأنها ستستطيع التحدث مع عمته على انفراد.

ـ سيدة بيتسي. . تعرفين أسباب جلبي إلى هنا؟

ـ أجل. . أعرف.

ـ وأظنك لا توافقين على الفكرة؟ ألهذا تشاجرتما قبل الغداء؟

استوت ليزا، متجنبة نظرة أماندا:

ـ أنت ذكية عزيزتي. . لم أوافق ابن أخي على ما يفعله بك. لا يحق له أن يتدخل بحياة الآخرين لأن نورما. .

سألت أماندا بحدة: «نورما؟ ومن هي نورما؟»

ردت المرأة بعد صمت:

ـ شقيقة واين. . ماتت قبل ثلاث سنوات.

ـ وما شأن نورما بوجودي هنا؟

ـ لا شيء.

لكن أماندا دهشت لأن المرأة بدت مضطربة بسبب الطريقة التي تحول فيها الحديث.

أضافت المرأة: «تعرفين سبب رغبته في احتجازك هنا».

قررت أماندا عدم المضي في الموضوع فسألت:

ـ سيدة بيتسي. . هل تساعدينني في الابتعاد عن منزلكما؟ أرجوك؟

ران صمت مطبق عدة لحظات قبل أن تضع العمة الفنجان الفارغ على الصينية بحدة لا لزوم لها.

ـ يا فتاتي العزيزة. . رغم كرهي لتصرف واين الحالي فيما يتعلق بك. . لا أستطيع القيام بما هو ضد رغبته. إن واين كأبيه سيد هذا المنزل، وسيد كل ما له علاقة به.

لاحظت أماندا للمرة الثانية رقة في العينين الرماديتين، ولطفاً في الثغر الذي لم يكن غير القسوة عينها.

أضافت: «على أي حال. . أنت هنا بموافقة والدك».

إذن، لم تكن ليزا بيتسي جبل جليد كما ظنت أماندا. . تنهدت: «ماذا أفعل؟»

ابتسمت العمة فتغيرت ملامحها كلياً:

ـ لن تستطيعي إلا القبول بالوضع عن طيب خاطر. إذ ستعقد معاداة

واين الأمور. المزيد من الشاي أماندا؟

ردت أماندا الابتسامة بقلب مثقل:

ـ لا.. شكراً لك. هل لي بالتنزه في الخارج أم ذلك غير مسموح بلا مرافقة؟

قالت المرأة بدهشة:

ـ يا الله يا فتاتي! أنت حرة في الذهاب إلى حيث شئت ما دمت لا تحاولين ترك المزرعة.

ـ أين نحن بالضبط؟ وما هي أقرب بلدة إلينا؟

لم تجهد ليزا نفسها في إخفاء المرح في عينيها.

ـ «بوسمانسفْلي» هي أقرب بلدة.. وإن كنت تفكرين في السير إلى هناك أخبرك بأنها تبعد عنا ثلاثين كيلو متراً.

أكدت لها أماندا أنها في الوقت الحاضر لا تحس برغبة في إرهاق نفسها بمحاولة السير طويلاً للهرب.. ولكنها لم تذكر أنها ستدرس كل الوسائل المتاحة لهربها.

جالت فترة قصيرة بلا هدف فوق المرجات المعتنى بها جيداً حتى لاحظت بناء يقبع وراء المنزل، الواضح أنه يضم عربات المزرعة، إضافة إلى السيارات الخاصة.. جاهدت لتبدو طبيعية وأكملت المسير في ذلك الاتجاه، وفي نيتها التحري عن إمكانية استخدام إحدى سيارات المزرعة. هناك مساحة لإيقاف ما يقارب اثنتي عشرة سيارة، مشغول منها مساحة تكفي لإيقاف ثلاث سيارات.. المرسيدس البيضاء بلا شك هي سيارة واين.. والسيارة الصغيرة المتواضعة هي لليزا بيتسي على الأرجح.. فواين لا يمكنه أبداً أن يحشر جسده الكبير في مكان صغير كهذا. أما السيارة الثالثة فكانت اللاندروڤر، الذي يجري تصليحه.

ليس صعباً عليها الفرار ليلاً، هذا إن استطاعت التوصل إلى استخدام إحدى السيارتين.. ولكن، ليس من مصلحتها أن تخطط بسرعة بل عليها التريث لتكتشف مكان المفاتيح، ولكن أي سؤال مباشر بهذا الشأن سيثير

الشبهات، وسيؤدي إلى الفشل الحتمي.

قطع عليها أفكارها وقع حوافر جواد فارتدت فإذا بها ترى جواداً وفارساً يتقدمان. إنه واين.. يبدو مختلفاً وخطيراً بثياب الفروسية.. أوقف الجواد قربها، فتراجعت بسرعة لأن الحصان الأبيض الهائج رفع قوائمه في الهواء. سألها من غير مقدمات:

ـ أتركبين الخيل؟

ـ لا.

ـ إذن، عليّ أن أعلمك.

انحنى نحوها، ومد يده:

ـ أعطيني يدك، لأساعدك على الركوب.

ـ آه! لا..!

ـ هيا.. ضعي قدمك اليسرى في الركاب، واتركي الباقي عليّ.

أدار الحيوان القلق عينيه البنيتين إليها ولكنه ظلّ هادئاً أمام أوامر واين.. نفذت أماندا ما قاله لها فوجدت أنها تجلس على ظهر الجواد وذراع واين القوية تحيط بخصرها.

قال ساخراً: «عظيم لأنك ترتدين سروالاً. هل أنت مستريحة؟»

تمكنت من القول بأنفاس مقطوعة:

ـ أ.. أجل.. شكراً لك.

وعت جيداً صلابة صدره العريض على كتفيها، ودفء عضلات ساعده حول خصرها.. كانت رائحته مشبعة برائحة الشمس التي جعلته تقريباً غريباً كلياً عنها، مقارنة مع رجل الأعمال الأنيق الذي عرفته منذ دخولها إلى حديقته الخاصة.

لم تكن تعرف ماذا تتوقع بعدما أصبحت على صهوة الجواد، ولكنها استرخت تدريجياً وأصبحت معتادة على حركة الحيوان الرتيبة.

سألها بصوت هامس:

ـ هل كنت في مزرعة غنم من قبل؟

ـ مرة واحدة في طفولتي. . لكنني لا أتذكر الكثير عنها. أخبرني شيئاً.

سأل ساخراً: «أتسألين من قبيل الأدب أم تراك تريدين فعلاً أن تعرفي؟»

أحست باشتداد ذراعه عليها، وقالت:

ـ ما كنت لأسأل لولا اهتمامي بالموضوع.

بدا أنه يفكر في الأمر لحظات. . ثم ضحك:

ـ ما زال أمامي الكثير لأعرفه عنك يا صغيرتي ماندي.

صاحت بتوتر وهي تميل إلى الوراء لتنظر إليه:

ـ لا تناديني هكذا.

ليتها لم تسمح لنفسها بهذه الرحلة غير الطبيعية معه. .

ضحك ساخراً فومضت أسنانه البيضاء أمام بشرته السمراء:

ـ ماذا؟ ماندي الصغيرة؟ أنت كاسمك عزيزتي. . ولكن ما تفتقدينه في الحجم تعوضين عنه في الطباع.

قالت ببرود لتغير دفّة الموضوع قبل أن تفقد أعصابها:

ـ لقد طلبت إليك أن تخبرني شيئاً عن المزرعة.

لمس قبعته بسخرية:

ـ خادمك المطيع سيدتي. . منطقة المراعي مسيجة ومقطعة إلى مخيمات، فيها ترعى الأغنام بالتناوب للحفاظ على الاخضرار الطبيعي. يبدو الأمر معقداً، لكنه في الواقع في غاية البساطة.

تابع الجواد سيره الرتيب ومع أن أماندا أدركت أنها ستعاني من الألم لاحقاً نتيجة الركوب، إلا أنها كانت تعي أيضاً هدوء الريف وقت الظهيرة. . على مسافة قليلة كان هناك راعيان يقودان قطيعاً كبيراً من الحملان إلى مأوى حجري وكان ثغاؤها يسمع بوضوح في هدأة الحقول المترامية الأطراف. قال واين يشرح لها:

ـ فطمت هذه الحملان عن أمّاتها. لقد ولدت في شهر أيلول، وتكاد

تبلغ من العمر أربعة أشهر

أدار الجواد بحدة، فشهقت لأن الجواد راح يعدو في الحقل. صاح فوق صوت الحوافر الراعدة والريح:

ـ هناك من أريد منك أن تلتقيه.

كانت مستعمرة الملونين تقع خلف غابة صغيرة. . منازلها الآجرية المرتبة تظللها أشجار المطاط الضخمة. كان الأولاد أول من لاحظ وجودهما فتوقفوا عن اللعب، ليلقوا التحية على واين بحماسة، قبل أن يركضوا حول الجواد الذي تباطأ سيره. ولكنهم استغربوا وجود أماندا.

تمكنت أماندا من كبح نفسها عن طرح سؤال على واين الذي ترجل عن الجواد في الناحية الأخرى من المستوطنة، ووضع يديه حول خصرها يساعدها على النزول.

ـ أرافقك لمقابلة زوبا. . أرسلت إليّ رسالة عبر حفيدها تطلب مني أن أصحبك إليها. . والواقع أنني لا أجرؤ على تجاهل مثل هذا الأمر.

سألت بدهشة: «لماذا؟ إنها لا تعرفني!»

التوت شفتا واين قليلاً:

ـ يجب أن أحذرك. . زوبا غريبة الأطوار بطريقة ما. . إنها ترى الأشياء، كما يقولون. . لكنها لا تؤذي.

ارتجفت أماندا لا إرادياً:

ـ تصوّرها وكأنها امرأة مخيفة.

ـ لا شيء يخيف في زوبا. . لقد ماتت جدتي بعد وقت قصير من ولادة أبي. . واعتنت زوبا به منذ طفولته حتى شبابه. . إنها امرأة عجوز حكيمة. . إنما لا تدعيها تكدرك بأية طريقة.

أمسك ذراعها يقودها نحو كوخ صغير. . انفتحت البوابة بصرير مرتفع، وسارا بصمت على ممر الحديقة نحو الباب الأمامي الذي فتحته لهما امرأة ملونة قبل أن يرفع واين يده ليدق عليه، فأشارت إليهما مبتسمة بالدخول. . كانت الغرفة النظيفة القليلة الأثاث غرفة جلوس وطعام في آن

www.elromancia.com روايات مصرية

واحد. جلست امرأة عجوز على كرسي خشبي قرب مائدة عتيقة، خطط الزمن وجهها وجعل شعرها أبيض كالثلج. ابتسمت تكشف عن أسنان صفراء عتيقة، قبل أن تدعوهما للجلوس.

قال واين وهو يوبخ العجوز بلطف:

ـ زويا، أيتها المحتالة العجوز. أنت الشخص الوحيد الذي يأمرني بوقاحة.

قالت بصوت متصدع: «كان والدك أشبه بابن لي. وأنت ابنه. لم يعد والدك وأمك هنا ليرعيا مصالحك. فليرحم الله روحيهما. لذلك يجب أن أفعل ما بوسعي، وإن كان يعني ذلك أن آمرك».

رد بلطف مدهش: «تعرفين أنني أسامحك دائماً».

هزت العجوز رأسها، وأدارت عينين سوداوين صغيرتين نحو أماندا:

ـ عرفت أنك آتية إليّ يوماً ما. ومنذ رأيت نجمة تنطلق من الشرق ليلة أمس، عرفت أنك ستكونين هنا قبل غروب يوم آخر.

نظرت أماندا بعصبية إلى واين الجالس قربها. كانت النظرة التي يوجهها إليها تقول: ماذا قلت لك؟

تابعت العجوز: «اسمك أماندا».

أحست أماندا بالدم يجمد في عروقها..

أضافت العجوز: «كان عليّ رؤيتك لأقول لك ما رأيت. أنا امرأة طاعنة في السن. لذا أنسى أشياء أحياناً. أشياء مهمة».

لم تستطع أماندا الادعاء بأنها لم تتأثر بهذر زويا.

تجاهلت نظرة السخرية على وجه واين وسألت العجوز:

ـ ما هو الشيء المهم الذي عليك أن تقوليه لي؟

لم تفارق نظرة زويا وجه أماندا لحظة، فشعرت أماندا بأغرب شعور يراودها ان هذه المرأة تكاد تغوص في أعماقها.

قطع صوت زويا المتكسر الصمت المطبق:

ـ احذري ذرات الغبار اللامعة. إنها تعمي العيون، وتتسلل من بين

أصابعك. حينما تبدأ أوراق الشجر الشابة بالظهور في الربيع تجدي نجمة سعدك.

ترنحت زويا في كرسيها، وأحنت رأسها. الواضح أنها مرهقة من الجهد الذي قامت به. شد واين أماندا لتقف، وأشار إلى المرأة الشابة الواقفة بالباب انهما ذاهبان:

ـ قولي لزويا إن الآنسة أماندا تقدر اهتمامها بها كما قولي لها إننا عائدان في وقت آخر.

وأخرج أماندا من الكوخ.

كانت تجربة غريبة تركت أفكار أماندا في عذاب في أثناء العودة إلى المنزل. ماذا تعني العجوز؟ «احذري ذرات الغبار اللامعة. إنها تعمي العيون وتتسرب من بين أصابعك» وماذا عن تلك النجمة، نجمة السعد التي ستجدها في الربيع. أتلمح العجوز إلى أن سعادتها مع جو لن تتحقق قبل الربيع؟ لكن الربيع لن يحل قبل سبعة أشهر وهي لا تنوي الافتراق عن جو هذه المدة الطويلة!

كان واين شارداً عندما افترقا في وقت لاحق. في أثناء وجبة العشاء انتبهت إلى نظراته الطويلة المتفرسة بها. بعد احتساء القهوة في غرفة الجلوس هربت إلى الحديقة طلباً لصمت الليل وهدوئه. يجب أن تنفرد بنفسها.. يجب أن تفكر!

ـ ليس هناك ما هو أجمل من بريق النجوم في الريف. ألاحظت هذا؟

أجفلها تعليق واين الذي جاءها من الخلف، فردت تبتعد عنه:

ـ لم أخرج إلى هنا لأحدق إلى النجوم.

قال بجفاء وكأنما يقرأ أفكارها:

ـ لقد حذرتك وقلت لك لا تحملي هذر زويا على محمل الجد.

ارتدت إليه تواجهه تحت ضوء القمر، أضافت:

ـ تعرفها أكثر مني. ماذا حاولت أن تقول؟

ـ لا فكرة لدي عما تقصده.

www.elromancia.com

ـ بل لديك فكرة ما؟

ضحك ساخراً: «عزيزتي أماندا.. كيف لي أن أعرف ما يدور في خلد امرأة مثل زويا؟ ربما تقصد أنك تلاحقين شعاع القمر، أو شيء مماثل سخيف».

قالت بغضب: «ها قد عدنا إلى ذكر جو».

أمسك يديها بيديه يشدها إليه في العتمة الفضية:

ـ لا عزيزتي.. لقد عدنا إليك.. تزوجيني أماندا، فيصبح كل ما هو لي لك.

صاحت مقطوعة النفس، تقاوم بلا جدوى لتحرير يديها، ولتهدىء خفقات قلبها المتسارعة:

ـ لست للبيع!

اشتدت قبضته بقوة على معصميها:

ـ لو أردت شراء زوجة لاشتريتها منذ سنوات طويلة.. أنا أطلب منك أن تكوني زوجتي أماندا.

أخرجت الرد بكلمات مخنوقة:

ـ لا أستطيع الزواج بك لأنني لا أحبك.

ضحك ساخراً: «الحب؟ ما هو الحب؟ تتكلمين عنه وكأنك تعرفينه، مع أنك لا تعرفين عنه شيئاً».

صاحت بجنون:

ـ اتركني! لا تستطيع إجباري على القبول بالقوة.

لكن بدلاً من أن يرخي قبضته، شدها بقوة إلى جسده.

ـ أوافقك الرأي أماندا، مع ذلك، سأبرهن لك أنك لست غير مكترثة بي كما تظنين.

كان عناقه لها قاسياً. قاومت لتخمد مشاعرها.. أخيراً عرفت أنها أرادت أن يضمها إليه على هذا النحو، تحررت منه خجلة من نفسها، مرعوبة، ولم يحاول أن يوقفها.. كان الغضب هو الذي أنقذها فلولاه

www.elromancia.com

لانهمرت دموعها.

شهقت تحاول السيطرة على ارتجافها بالإمساك بيديها إلى الخلف:

ـ هل سأتعرض إلى هذه المعاملة طوال إقامتي الجبرية هنا؟ هل تنوي تحطيم دفاعاتي حتى أفقد قدرتي على الرفض؟

كان الصمت ثقيلاً، مشحوناً، وهما يتواجهان. بدت تعابير وجه واين مخيفة تحت نور القمر.. وتلوت أعصاب أماندا.

أخيراً قال بهدوء غريب:

ـ يجب أن تسمحي لي بأن أعرف ما هو أفضل لك.. ولك كلمتي بأنني لن أعانقك مرة أخرى إلا إذا أبديت دلائل الرغبة.. ولكنني لن أوقف محاولاتي لدفعك إلى قبول عرضي بالزواج.

ـ ستضيع وقتك!

ـ لا أظن هذا أماندا.. أنا رجل صبور وأستطيع الانتظار.

ردت ووجنتاها تحترقان من فرط الحرج والغضب:

ـ ستنتظر إلى الأبد، واين هاوسلي!

وهربت من أمامه فيما كانت ضحكته تلاحقها.

كانت غرفة الجلوس فارغة، لكن ليزا قابلتها في الردهة، وتصرفت تصرفاً أقل رفضاً.

ـ لقد أخذت حريتي في اختيار بعض الملابس من خزانة نورما لتختاري منها.. ستجدينها في غرفتك.

ـ شكراً لك سيدة بيتسي.. أود أن أخلد إلى غرفتي.. كان يومي مرهقاً.

هزت المرأة رأسها بتفهم: «بالتأكيد عزيزتي.. ناديني عمتي ليزا، فهكذا يناديني الجميع».

في صوتها دفء حقيقي جلب الدموع إلى مآقي أماندا التي تمتمت شاكرة:

ـ أنت في غاية اللطف لذا يسعدني أن أناديك عمتي ليزا.

سمعتا واين يقفل الأبواب ولاحظت العمة ليزا نظرة أماندا المتوترة فدفعتها بلطف نحو السلم:

ـ هيا إلى النوم. . لقد عانيت ما فيه الكفاية في يوم واحد.

ابتسمت أماندا لها شاكرة، وهرعت إلى غرفتها.

فيما بعد، ارتدت غلالة نوم من الدانتيل كانت موضوعة على السرير واستلقت تنظر إلى الظلام وهي تحس بالتشنج بسبب امتطاء جواد واين. راحت تراقب القمر وهي تفكر. لقد وقعت أحداث كثيرة وكلها مثيرة للاضطراب. . احذري ذرات الغبار اللامعة. . هكذا قالت زوبا. . أهذه الكلمات هذيان من امرأة عجوز، أم لها معاني مستترة؟

***

٦ ـ يجب أن تهرب

في الصباح التالي غادر واين المنزل بعد تناول الفطور مباشرة، ثم عاد في الوقت المناسب لاحتساء الشاي مع العمة ليزا ومع أماندا على الشرفة. . لم تستطع أماندا منع نفسها من الإعجاب به وهي تختلس إليه النظر.

مسح العرق عن جبينه بمنديل أبيض نظيف وسأل:

ـ أتحبين مرافقتي للسباحة؟ في الوادي بحيرة طبيعية نستخدمها دائماً لهذا الغرض.

ردت ببرود:

ـ وهل نسيت أنني لم أحمل معي شيئاً من ثيابي.

قال بجفاء: «أستطيع أن أتدبر أمر ثوب السباحة» واختفى في المنزل.

هزت العمة ليزا كتفيها أمام نظرة أماندا المرتابة، ثم أخذت الصينية إلى المطبخ، أما أماندا فتبعت واين إلى الطابق العلوي بشيء من الخوف. .

التقاها واين في أعلى الدرج وحول عنقه منشفة:

ـ تركت لك شيئاً في غرفتك. . سأنتظرك خلف المنزل فانزلي متى أصبحت جاهزة.

ارتدت أماندا على عقبيها إلى غرفتها، حيث وجدت ثوب السباحة الذي ذكره. كان أخضر اللون بدا رائعاً على جسمها المتناسق الخالي من العيوب.

www.elromancia.com

وجدت سروال جينز في الخزانة، رفعته ما فوق كاحليها، وبلوزة ملونة برّاقة، تركتها منسدلة فوق الخصر. انتعلت حذاءها بسرعة ثم حملت المنشفة وهرعت إلى حيث ينتظرها واين.

ناداها واين لمّا أطلت من الباب: «أنا هنا».

نظرت باتجاه الصوت فرأته واقفاً تحت شجرة سنديان قديمة، ممسكاً بعنان جواده الأبيض الرائع وقربه فرس رمادية.

ـ ما دمت ستتعلمين الركوب فالأفضل أن تبدئي حالاً.

صاحت وحنجرتها تضيق خوفاً: «واين.. لا أستطيع».

ـ جبانة!

هذا كثير! تستطيع تحمل سخريته، لكنها ليست جبانة.. قوّت عزيمتها ثم مدت يدها لتمسّد عنق الفرس.

ـ ما اسمها؟

ـ ميسي.. أي الفتاة.

ـ أفهم اللغة الإفريقية، لا تعاملني وكأنني أمية!

ـ لا تكوني مفرطة الحساسية.. ميسي مدربة جيداً، فلا تخافي.. أطيعي تعليماتي، وسرعان ما تركبين الخيل كأي خبير

تصاعد ذعرها: «واين.. ماذا لو وقعت؟»

ضحك ساخراً:

ـ يا طفلتي العزيزة.. لا أحد يقع عن ظهر ميسي، فتوقفي عن التوهم ونفذي تعليماتي.

لم تكن الرحلة إلى الوادي مزعجة، بل كانت مرحة.. جعلتها توجيهات واين الصارمة تحس بالأمان وهي تراقب حركاتها.

عرفت أماندا أنها لن تنسى رائحة جلد الخيل غير العادية، الممتزجة بعطر الوادي. كانت تجربة لا يمكن أن تستبدلها بأي شيء آخر في العالم. امتطاء الخيل مع واين تحت شمس «كارو» الحارة، ورؤية جانب منه لا يعرفه سوى القليل. هذه هي مملكته، وإلى هذه الأرض

ينتمي لا إلى عالم الأعمال الشائك حيث التقته مرة وظنته جزءاً منه.

قطع عليها أفكارها: «نكاد نصل».

نظرت في الاتجاه الذي يشير إليه فرأت بحيرة تظللها أشجار الصفصاف.

ترجل واين أولاً، وساعدها على الترجل، ثم ربط الجوادين إلى شجرة.. خلعا ثيابهما، ولحقت أماندا بواين إلى الماء.. ولكنها وجدته غير مستعجل للاستمتاع ببرودة الماء إذ وقف هناك بكبرياء الرجل.. وطافت نظرته بقدها الرشيق ببطء متعمد دفع نبضاتها إلى السرعة، وجعلتها تتورد خجلاً.

لأنها لم تقدر على احتمال تفرسه الشديد فيها قفزت إلى المياه المنعشة الباردة.. لكنها دهشت عندما رأته يعوم قربها تقريباً. كان شعره يلتصق برأسه، وفي عينيه نظرة خبيثة.

سبحت في الاتجاه المعاكس. لكنه لحق بها، ووضع ذراعه حول خصرها يشدها إليه، فتعلقت لا إرادياً بكتفيه العريضتين.

قال جاداً: لا تسبحي في هذا الاتجاه.. إنه عميق بشكل خطر.. التزمي هذا الجانب من البحيرة.

تركها، فأطاعته بلا امتعاض، راحت تسبح في الاتجاه الذي أشار إليه أنه آمن..

سألته عندما أصبح قربها:

ـ هل تسبح دائماً هنا؟

ـ كل يوم تقريباً في الصيف..

عندما راحت تسبح نحو حافة البحيرة لحق بها مقترحاً:

ـ من الأفضل أن نترك الشمس تجفف جسمينا قبل ارتداء ملابسنا مجدداً.

فرشت أماندا منشفتها على العشب وجلست فوقها تعقد يديها حول ركبتيها فيما شعرها المبلل والمتجعد يتقطر ماء على ظهرها.

قال واين وهو يجلس قربها:

ـ لدي شيء لك.

أخذت المغلف المربع منه، فتعرفت على خط أبيها:

ـ أهو معك منذ الأمس؟ لماذا لم تعطني إياه قبل الآن؟

ـ لم تكوني في مزاج رائق يوم أمس، لذا أخرته قليلاً.

كبحت رداً حاداً، وفتحت المغلف، تخرج رسالة.

كتب لها: «عزيزتي أماندا.. ليس من السهل عليّ كتابة هذه الرسالة، فأنا أعرف أنك تكرهينني في هذه اللحظات. لم يكن القرار سهلاً عليّ أيضاً، فخداع ابنتي لتقع في موقف لا ترغبه ليس بأمر يرضيني أبداً.. ولكنك ما كنت لتذهبي بإرادتك..»

«ربما ستسامحينني عندما أقول لك إنني كنت أتوق للابتعاد عن «بورث اليزابيت» وعن الذكريات المؤلمة عن سعادتي مع أمك. لم أستطع إجبارك على مرافقتي إلى «كايب تاون» ولم أستطع تركك مع شخص كجوناس بارسلي.. لهذا السبب، وافقت عندما عرض عليّ واين أمر هذه الزيارة غير المحددة حيث تكونين تحت رعايته ورعاية عمته».

«اعتبريها عطلة أماندا، وفرصة للتأكد من مشاعرك نحو جوناس.. إن كان يحبك كما تقولين، انتظرك. وكما قال لي واين: ما يستحق العناء يستحق الانتظار دائماً».

«لا تحكمي عليّ بقسوة يا عزيزتي، وراسليني عندما تجدين الوقت..

والدك المحب: هامش لارج».

أحست بالدموع تحرق جفنيها. كان واين قد ابتعد عنها، ووقف مستنداً إلى شجرة، يدخن سيكارة، ينظر إلى الماء وعلى وجهه كآبة.

استلقت على ظهرها فشعرت بحرارة الشمس على جفنيها المغمضين.. إنها تسامح أباها.. وقع ظل واين عليها فلمّا رفعت بصرها إليه، وجدت أنها أسيرة عينيه الغريبتين.

سألت وهي تلتقط شفتها المرتعشة بين أسنانها:

ـ لماذا واين؟ لماذا لست حرة في أن أعيش حياتي كما أريد وفي أن أحب من أشاء؟

ظلّ وجه واين على حاله:

ـ لم تحبي حتى الآن أماندا ولكنك ستحبين يوماً.. وسيكون ذلك الرجل المناسب.

أدركت أنهما لا يتكلمان عن الشيء عينه، لكنها تركت الأمر يمر، ولم ترجع إلى ذكر الموضوع.

بعد ظهر ذلك اليوم وصلت سيارة واين المرسيدس السوداء مع سائقها محملة بحقائب أماندا.. عندما تكومت الحقائب أمام قوائم السرير في غرفتها صدمتها حقيقة ورطتها فبكت.. ثم غسلت وجهها ولكنها عادت فبكت مجدداً.. وقالت لنفسها إنها سخيفة، فليس من عادتها البكاء.

مر الأسبوع الأول في «هاوسلي بوست» بطيئاً. إنما في أثناء هذه المدة تغلبت على قلة صبرها، وأمضت وقتها بالتخطيط للهرب. ولكن واين نادراً ما تركها بمفردها إذ كان يصحبها إلى حقول الرعي المسيجة، أو إلى الوادي للسباحة في البحيرة، كان يمتطي جواده الأبيض، وهي تمتطي صهوة ميسي.. لقد حافظ على وعده بأن لا يحاول مغازلتها ثانية ولكنها باتت تشعر به أكثر كرجل قوي وحيوي حتى تساءلت ما هو الأسوأ لها: أن يعانقها أو أن تحس بوجوده بشكل خطير.

أصبحت العمة ليزا صديقتها.. ولكن أماندا عرفت أنها لا تستطيع مشاركتها أسرارها، فولاء المرأة لواين أهم من صداقتهما.. ولو عرفت ليزا بخططها، لأعلمت ابن أخيها فوراً.

سرعان ما اكتشفت أماندا مكان مفاتيح السيارات في مكتبة واين المكتظة بالكتب. كانت مرة مع واين عندما دخل توماس ليعيد مفتاح اللاندروفر. رآته يعلقه خلف الباب في خزانة صغيرة غير موصدة. وجدت

أن عليها التمهل لئلا يشك واين بنواياها. التحرر، كلمة غريبة.. لكنها مناسبة الآن.. إنها سجينة على يد واين وسجينة مشاعرها التي لا يمكنها التنبؤ بها.. يجب أن تهرب.. تهرب من أفكارها ومشاعرها التي سببها وجوده المسيطر.

حانت الفرصة في إحدى الأمسيات في أسبوعها الثاني. أعلن واين وقت العشاء أنه سيحضر اجتماعاً لمجلس الادارة ذلك المساء.. وهذا ما تركها بمفردها مع العمة ليزا التي تذهب عادة إلى الفراش باكراً، وهذا يعني أنها حرة طليقة في أخذ مفاتيح المرسيدس والفرار قبل عودة واين.. الأمر كله سهل بشكل لا يصدق. إن كان يريد احتجازها مدة أطول فعليه تقييدها كالعبيد.

أحنى واين لها رأسه ساخراً وهو يخرج:

ـ عمت مساء أماندا.. سامحيني لأنني سأحرمك من صحبتي الساحرة هذا المساء.

ردت بالسخرية ذاتها: «صدقني لن أفتقد صحبتك أبداً».

كانت السخرية سلاحها الوحيد، وهي مضطرة إلى استخدام هذا السلاح دائماً.

تابع واين حديثه: «سيأتي يوم يا عزيزتي، تتوقين فيه إلى صحبتي.. وإلى أشياء كثيرة أخرى».

تورد لون أماندا بحدة، وأشاحت بنظرها:

ـ لا تكن واثقاً من نفسك واين هاوسلي.. ما كل النساء بمستعدات للوقوع تحت قدميك عندما تومىء إليهن. قد تجد بعضهن جاذبيتك لا تقاوم، أما أنا فأجدك رجلاً مضجراً متعجرفاً.

ظهر الابيضاض حول فمه، وشهقت العمة ليزا التي كانت تستمع إلى هذه المعركة الكلامية بحدة.. سرعان ما استعاد واين رباطة جأشه فأمر العمة ليزا بتركهما بمفردهما لحظات قصيرة.

قال لها ما إن أغلقت العمة الباب خلفها:

ـ لا تجربي صبري كثيراً أماندا وإلا نسيت وعدي لك، وبرهنت لك إلى أي حد أنت عاجزة عن مقاومتي.

ارتدت خطوة لا إرادية إلى الوراء، خافقة القلب، هلعة.

ـ أكرهك.. واين!

أجاب وعيناه أشبه بجمرتين مشتعلتين في رأسه:

ـ عظيم.. إن كنت قادرة على الحب كقدرتك على الكره، فالزواج بك سيكون تجربة مثيرة.

ارتدت على عقبيها تهم بمغادرة الغرفة وهي تضع يديها على وجنتيها المشتعلتين. إنه رجل كريه، مثير للأعصاب، مغرور لذا لن تتزوجه.. أبداً!

بعد عدة لحظات عادت العمة ليزا إلى غرفة الجلوس تسأل، وقد لاحظت امتقاع وجه أماندا الشديد:

ـ هل هذا واين الذي سمعته يغادر؟

ـ أجل.

ـ عزيزتي.. يجب أن تكوني حذرة.. واين معتاد على أن ينفذ ما يريد، ولا يتحمل من يكلمه كما تفعلين أنت.

احترقت عينا أماندا بدموع الغضب:

ـ لم أقصد أن أكون عديمة الاحترام، إنما لماذا يجب أن يسخر مني دائماً ولماذا يوبخني كما يفعل؟

هزت العمة رأسها ثم دست ذراعها حول كتفي أماندا:

ـ لا أدري ما الذي دهاه مؤخراً فهو عادة عكس ذلك. إنه في الواقع رجل لطيف، يراعي مشاعر الآخرين.

ابتلعت أماندا الغصة في حلقها، وكبحت التوق اليائس المفاجىء إلى دفء ذراعي جو وإلى حبه. إن نجحت خطتها استطاعت رؤيته في وقت قريب، وعندئذ لن يستطيع أحد حتى واين هاوسلي أن يفرّقها عنه.

قالت للمرأة العجوز: «سأخلد إلى النوم باكراً» وطبعت قبلة خفيفة

www.elromancia.com

على خدها قبل أن تتوجه إلى غرفتها.

لم يمض وقت طويل حتى سمعت وقع خطوات تمر ببابها. . العمة ليزا متوجهة إلى غرفتها. بعد نصف ساعة ستطفىء نور غرفتها. . أما هي فستنتظر ساعة أخرى قبل أن تتحرك، وذلك لتتأكد من غرقها في النوم.

مرت الساعة ببطء. كانت حقيبتا أماندا جنباً إلى جنب على الأرض قرب الباب، وكانت أعصابها تتلوى من الاضطراب. . إن أسوأ جزء في العملية هو التسلل على رؤوس أصابعها في الظلام لتأخذ المفاتيح من مكتبة واين، ثم التسلل من المنزل خلسة. . ما إن أصبحت خارجاً حتى لازمت الظلال فكان أن وصلت إلى الكاراج بصعوبة. لم تكن المرسيدس السوداء في مكانها المعتاد، بل المرسيدس البيضاء. . ربما من الأفضل أن تأخذ السيارة الصغيرة ولكن إن أصبحت على الطريق الرئيسية خارج «بوسانسفيلي» فستحتاج إلى السرعة لتبتعد بأسرع ما يمكنها.

وضعت حقيبتيها في الصندوق، وتسللت إلى مقعد السائق. ظنت أنها نجحت، فارتجفت يداها إثارة. لن يوقفها شيء الآن. . وضعت المفتاح لتشغل المحرك ولكن لم يحدث شيء! حاولت مرة أخرى. . فلم يستجب لها. كبست على زر الإضاءة فلم تُضاء المصابيح. . عندئذ أدركت أن البطارية منزوعة من مكانها. وتأكدت مخاوفها حينما فتحت غطاء المحرك. . أسرعت إلى الميني، فوجدتها بدون بطارية أيضاً.

ـ أتواجهين المتاعب أماندا؟

ـ واين!

قفز قلبها إلى حلقها بعنف. استدارت مذعورة لتواجه الرجل الطويل المتقدم إليها في الظلام. .

قال لها بهدوء أخافها:

ـ شعرت بأنك تخططين لشيء كهذا. . لذلك ابتدعت خبر الاجتماع، وتعمدت منحك الفرصة.

تراخت أطرافها من جراء الصدمة.

ـ أتعني. . أنك كنت هنا طوال الوقت؟

ـ أجل. . أوقفت السيارة بين الأشجار وانتظرت. . ويجب أن أعترف، أنني لم أكن أؤمن أن لديك الجرأة.

كانت مخدرة الأعصاب كثيراً بحيث لم تستطع الرد. استندت بوهن على غطاء محرك السيارة تنظر إليه وهو يخرج الحقائب من الصندوق. . أشار إليها أن تلحق به، فأذعنت له بخضوع. لكن قدميها كانتا ترتعشان ارتعاشة تكاد معها تتعثر في الظلام. حينما وصلا إلى المكتبة تنحى جانباً لتدخل، ثم أغلق الباب وراءها بقدمه قبل أن يضع الحقيبتين أرضاً.

جلست في أول مقعد توفر لها، وضمت يديها المرتجفتين في حضنها وراح جسمها يرتجف دونما سيطرة، وأخذت أسنانها تصطك بشدة حتى آلمها فكها.

أعطاها فنجان شاي من الغلاية الكهربائية. لكنها كادت لا تستطيع الإمساك بالكوب جيداً، فقال لها:

ـ سيهدىء أعصابك. . أنت ترتجفين كورقة في مهب الريح.

احتجت: «لا أستطيع».

لكن نظرة عينيه أماتت أي احتجاج آخر على شفتيها. . ارتشفت شيئاً من الشراب الساخن ثم قالت:

ـ أرجوك. . هذا يكفي! أحس بالغثيان!

ارتدت في كرسيها تغمض عينيها. . ماذا سيفعل واين الآن؟ توقعت منه الغضب، أما هذا القبول الهادىء الذي يظهره فقد جعلها لا تعرف كيف تتعامل مع الموقف.

سألها فجأة وهو يميل إلى مكتبه، عاقداً ذراعيه على صدره:

ـ عندما وضعت خطط الهرب أماندا، هل فكرت إلى أين ستذهبين؟

ـ حسناً. . الواضح أنني لن أستطيع العودة إلى الشقة التي ستكون بلا شك مؤجرة إلى أشخاص آخرين. . سأجد غرفة أسكن فيها في مكان ما.

ـ أو يمكنك السكن مع بارسلي.

قالت بحرارة وهي تمسك ذراعي المقعد:

ـ إن قولك هذا خسيس! ماذا تظنني؟

رفع حاجبيه: «لا تقولي إنه لم يقترح هذا عليك؟»

ـ بالتأكيد لا.. ! إنه..

عضت شفتها فجأة، لأنها تذكرت حادثة تفضل أن تنساها. لقد أصر جو عليها حتى تسكن معه قائلاً إن لا سبب يحول دون ذلك، الآن وواين منتظر ردها اضطرت إلى الاعتراف: بلى.

ـ حسناً؟ وماذا جرى؟

ـ أنا متزمتة ورجعية التفكير لذا لا أؤمن بمشاطرة الرجل مسكنه قبل الزواج.. هل ستعاقبني على محاولة الهرب؟

ـ أجل.

أخذ يدها يشدها لتقف، فجأة عرفت ما ينوي. كان بإمكانها تحرير نفسها بسهولة، إنما لسبب لم تستطع تفسيره استكانت بين ذراعيه وهو ينحني إليها.. عندما أنهى عقابه الغريب، نظرت عيناها الزرقاوان العميقتان إليه بتساؤل، وسمعت نفسها تسأل متنهدة:

ـ أهذا كل شيء؟

ـ أتطلبين المزيد أماندا؟

ردت غاضبة من نفسها بسبب سخريته:

ـ تعرف ما أعني. لقد توقعت على الأقل كلمات لاذعة من لسانك السليط إن لم يكن السوط.

ترك يديها ثم ابتعد، ليمرر نظرته عليها:

ـ لست بربرياً لاستخدام السوط على امرأة. هناك أنواع أخرى من العقاب أكثر فعالية.

احترقت وجنتاها إذلالاً ولكن ظهر واين من حسن حظها، كان إلى جهتها لأنه كان يلتقط حقيبتها.. سارت إلى غرفتها مسيرة عذاب وكان واين البارد المخيف يلحق بها.. وضع الحقيبتين في الغرفة ثم نظر إليها

بازدراء من الأعلى:

ـ عمت مساء.. أماندا.

تمتمت شيئاً ولكنه كان قد ذهب حتى قبل أن تتألف الكلمات.. كبحت خيبة أمل وقنوط الدموع.. ليتها تستطيع قبول تفسير والدها بشأن موافقته على ما فعله واين بالذات. ما هو حقهما في التدخل بحياتها؟ على والدها أن يقتنع بالرجل الذي اختارته فهي امرأة ناضجة، راشدة نفسها.

عادت أفكارها إلى جو.. فغمرها شعور غريب أثار أعصابها. هي لا تريد الإسراع للقاء جو.. بل تريد الإسراع للابتعاد عن واين.. إنما ممّ ستهرب؟ من إحساس.. من شعور بالخطر؟ هل هي خائفة من الغرق في دوامة من المشاعر لم تكتشفها حتى الآن؟ أم السبب معرفتها بأن واين قد يوقظ فيها هذه الأحاسيس مع أن جو فشل في الماضي.

تنهدت تنهيدة متقطعة ثم سرعان ما انقبضت نفسها من هذه الأفكار المثيرة للاضطراب. من الأفضل لها ألا تبحث عميقاً بأسباب رغبتها في الابتعاد عن «هاوسلي بوست». أطفأت النور، واعترفت بالهزيمة المؤقتة.

أصبحت أماندا الآن أشدّ إصراراً على الهرب. وفي أول فرصة تتاح لها فيها التكلم مع توماس، ستحاول إقناعه بوضع إحدى السيارات تحت تصرفها.. لكن توماس لم يقتنع.

قال بلهجته الإفريقية المميزة:

ـ ميسي أماندا.. عاشت عائلتي في هذه المزرعة منذ سنين.. وهنا أريد أن أعيش حتى مماتي.

ـ أيعني هذا أنك لن تساعدني؟

ـ يعني ميسي أماندا أنني لا أستطيع أن أساعدك حتى ولو أردت.. أعطى ماستر واين أوامره.

ابتلعت خيبة أملها:

ـ ولاؤك جدير بالثناء توماس.. سامحني لأنني طلبت منك مخالفة

رغبات رئيسك. انسى أنني طلبت منك شيئاً.

ابتسم توماس براحة، ولمس قبعته احتراماً قبل تركها. هناك طريق واحدة للهرب، يجب أن تخرج من المنزل يوماً قبل الصبح، وتسير على قدميها إلى الطريق قبل أن تشتد حرارة الشمس فيصبح السير مستحيلاً وإن تمكنت من إيجاد من يقلّها إلى «بوسانسفيلي» فقد تستقل من هناك القطار إلى بورث اليزابيث.

مضت ثلاثة أيام قبل أن تتمكن أماندا من وضع خطتها في طور التنفيذ. ففي اليومين المنصرمين أمطرت السماء بلا انقطاع، وفي اليوم الثالث جعلها واين مشغولة في مكتبه، إذ راح يملي عليها رسائل طلب منها أن تطبعها له. لكن ابتهاجها كان غير محتمل أبداً عندما وجدت نفسها أخيراً في الطريق إلى «بوسانسفيلي» وكانت قد انطلقت مع انبلاج الفجر وليس معها إلا ثوب واحد ودفتر التوفير لدفع أجرة القطار.

سارت أماندا بخطوات متسارعة حيث كانت رائحة غابات «الكارو» البرية تعبق في الجو. ستمر ساعتان قبل أن يلاحظ أحد اختفائها، وهذا يعني أن أمامها الوقت الكافي للابتعاد. في السابعة ذلك الصباح، طردت الشمس صقيع الفجر وحولت الوادي إلى جنة لامعة بفعل الندى.

تجاوزتها عدة سيارات وجهتها عكس اتجاهها وكانت على وشك أن تفقد الأمل عندما سمعت سيارة تقترب من خلفها. ارتدت ترفع أصبعها، ولكنها لم تكمل ما تفعل لأن السيارة سيارة واين. توقف إلى جانبها ونزل بحركاته الكسولة الشبيهة بحركات الفهد.

- أذاهبة إلى مكان ما؟

ابتلعت أماندا ريقها بعنف لأنها رأت الغضب البارد في عينيه:

- واين.. أنا..

فتح باب السيارة ورعد صوته: «اصعدي!» ثم ساعدها بقوة لتصعد. انتظرته حتى جلس قربها. ساد صمت منذر بشرّ في أثناء عودتهما إلى المنزل، حيث توقف وجرها بفظاظة من السيارة واقتادها إلى الردهة ومنها

إلى مكتبه.

بدأت تقول بشجاعة:

- واين.. لا يمكنك احتجازي هنا في مزرعتك، لو قصدت الشرطة لأوقفوك.

ضحك ضحكة قاسية، ووقف يواجهها عبر الطاولة:

- يا طفلتي العزيزة. أنت هنا ضيفة، والأهم أن معي رسالة موقعة من والدك يعينني فيها وصياً عليك حتى تبلغي سن الحادية والعشرين.

- لا أصدقك!

فتح واين الدرج في مكتبه بحركة وحشية ودفع ورقة إليها.

- انظري إلى هذه.. إنها نسخة مصورة عن الأصلية.

ضاقت حنجرة أماندا التي كادت أنفاسها تختنق وهي تقرأ الرسالة وتكتشف أن واين يقول الحقيقة.

- إذن.. لقد خدعتني بمساعدة أبي.. الشخص الوحيد الذي ظننت أنني قادرة على الثقة به!

ارتدّ حول المكتب بخطوات سريعة: «لا تقولي هذا!» وأمسك بكتفيها.

- لولا عنادك، لأدركت أن أباك يهتم فعلياً بمصلحتك مثلي أنا تماماً!

قالت بصوت كسير:

- لماذا؟ لماذا تهتم بي؟

- أنت أجمل من أن يحطم وغد كجوناس بارسلي حياتك.

ارتعشت شفتاها: «أنت لا تعرفه».

تركها: «لا أعرفه؟»

أشعل سيكارة راح ينفث دخانها بشدة في الهواء:

- أماندا.. إن جئتك ببرهان قاطع على عدم إخلاص جو لك.. فهل تتزوجينني؟

شدت قبضتيها إلى جانبيها: «هذا ظلم!»

www.elromancia.com

- إذا كنت واثقة من جوناس كما تقولين، فماذا تخسرين؟

راقبتها عيناه والتوى فمه ساخراً. . فوافقت في تحدي غاضب وثقة تُظهر دلائل التهاوي:

- حسناً. . لكنك لن تجد البرهان.

- سنرى. . وفي هذه الأثناء، هل تعطينني وعداً بعدم الهرب إن سافرت اليوم إلى بورث اليزابيت لأحضر لك الدليل؟

- لك وعدك. . إنما. . إن لم تجد الدليل الذي تسعى إليه؟

ارتفعت عيناها الزرقاوان إليه بانتصار. . فبدت نظرة ازدراء على وجهه:

- عندها أردك بنفسي إلى جوناس. . هل اتفقنا؟

خفق قلبها بعدم راحة بين ضلوعها:

- أجل. . إنما سيخيب أملك!

* * *

٧ - أين السعادة؟

www.elromancia.com

كان المنزل هادئاً يوحي بالشؤم بعدما غادره واين، وكان أمام أماندا الوقت الكافي لتشعر بالندم على حماقتها لأنها سمحت له بأن يوقعها في فخ الموافقة التي قد تجبرها على الزواج به. ما فعلته ضرب من الجنون.

أخيراً، عندما لم تعد تطيق الصمت، ذهبت تبحث عن العمة ليزا فوجدتها في الحديقة ما بين المزروعات.

سألت وهي تتمنى أن يكون هناك ما تستطيع القيام به للتخفيف من الأفكار المخيفة التي كانت تتسارع بجنون في رأسها:

- هل أستطيع المساعدة؟

ردت العمة جادة:

- بدون قفاز خاص بالحديقة تفسدين يديك الجميلتين. اجلسي في مكان ما، لنتحادث إن أردت.

جلست أماندا على العشب قرب ساقية صغيرة ووضعت أصابعها في مائها. إما أن العمة ليزا لا تعرف شيئاً عن محاولتها الفرار إلى «بوسانسفيلي» هذا الصباح، وإما أنها لم تذكر الأمر من قبيل حسن اللباقة.

- أخبريني عن والديّ واين يا عمتي ليزا.

رفعت العجوز رأسها برهة تنظر إليها مبتسمة:

- ليس هناك الكثير أخبره. ماتت والدته بعد وقت قصير من ولادة نورما، وبما أنني كنت ترملت هذه الأثناء، عدت إلى المزرعة لأهتم

بأخي، والد واين وبطفليه. كان واين في الرابعة عشرة عندما ولدت نورما، وكان شاباً مستقلاً في شخصيته.

دفعت مجرفتها في الأرض، ثم خلعت قفازها قبل أن تضيف:

ـ بعد موت أمه المفاجيء تحوّل حبه نحو نورما إلى نوع من حب الحماية. علمها السباحة وركوب الخيل، وقيادة تلك السيارة الحمراء الصغيرة الرهيبة التي أهداها إياها وهي في الثالثة عشرة من عمرها.

تنهدت العمة ليزا، ونظرت إلى الوادي مفكرة.

ـ إنه يلوم نفسه كثيراً على موتها. . وأظنه لهذا السبب. .

تصاعد اهتمام أماندا، فتساءلت: «نعم؟»

هزت العمة رأسها بحزم:

ـ لا شيء. فلنعد إلى المنزل، لقد حان وقت الشاي.

دست أماندا ذراعها بذراع العمة وهما تسيران ببطء في الممر:

ـ لم تحدثيني عن والد واين، كيف كان؟

لاحت ابتسامة على شفتي ليزا:

ـ يشبه واين أباه كثيراً. كان رجلاً طويلاً أسود الشعر كذلك، ولكنه ألطف من واين بكثير. . كان من النوع الحالم، أما واين فكان راسخ القدمين بثبات. . مات منذ عشر سنوات، إثر جلطة دموية.

لاحظت أماندا ترقرق الدمع في عيني العجوز، وفكرت أن من الأفضل عدم متابعة الموضوع.

قُدم إليهما الشاي على الشرفة، مع حلوى المربى، ولكن أماندا كانت متوترة بحيث لم تتلذذ بها. . أخيراً تركت العمة في المطبخ تشرف على الغداء وطلبت أن يسرجوا لها ميسي، على أمل أن يمحو الركوب في الحقول الشعور بالحزن من قلبها. . لكنها عادت بعد ساعة وهي أسوأ حالاً مما كانت.

انتهى الأمر بأماندا إلى ذرع غرفة الجلوس. . لقد قال واين إنه راجع قبل الساعة الواحدة، مع أو بدون الدليل الذي سافر ليحضره. . عندما دنا

موعد عودته، أحست بخوف يتصاعد إلى أعماقها.

وضعت العمة ليزا تطريزها من يدها، ونظرت إليها بقلق:

ـ أماندا. . عزيزتي، ، ألست سعيدة هنا معنا؟ ألم نقم بما في وسعنا لتشعري بالراحة؟

تركت أماندا بصرها يسرح في الحديقة السابحة بأشعة الشمس، تراقب فراشة تعمل بشكل دؤوب.

ـ قد أكون سعيدة هنا، فقط لو. . .

أنهت عنها العمة كلامها وهي تهز رأسها تفهماً:

ـ لو كان الرجل الذي تحبينه معك هنا يشاركك هذه السعادة؟

عبست أماندا وارتدت عن النافذة:

ـ عمتي ليزا. . ماذا أفعل؟

ثم أطلقت لا إرادياً ما في قلبها وراحت تشرح لها السبب الحقيقي وراء رحيل واين إلى بورث اليزابيت.

سألتها العمة بعد انتهائها:

ـ ألا ترين أن من الغباء دخول مثل هذا الاتفاق مع واين؟

ـ لم يكن أمامي خيار. . واجه إيماني بجو تحدياً. . كما أنني لا أظنه يجد الدليل الذي يسعى إليه.

رفعت العمة حاجبيها ساخرة وهي حركة لم تعتد عليها، ثم التقطت تطريزها ثانية:

ـ أتمنى من أجلك أن تكوني على حق.

عادت أماندا تذرع الغرفة بغضب متجدد. . ماذا لو نجح واين في مهمته وعاد حاملاً الدليل؟ ارتجفت داخلياً وهي تفكر في النتيجة. . لن يصرّ بالتأكيد على اتفاقهما السخيف؟

صاحت العمة بنفاد صبر:

ـ بالله عليك يا ابنتي. . ! تعالي واجلسي، ستهترئ السجادة.

تمتمت أماندا: «أنا آسفة».

جلست على أقرب ذراع مقعد منها، ولكنها سمعت هدير طائرة واين من بعيد، فهبت بسرعة على قدميها:

ـ إنه هنا!

قالت العمة بحزم:

ـ اجلسي أماندا. . سرعان ما تجدين الرد.

لكن، بدا لها أن دهراً قد مر، قبل أن يصل اللاندروفر، وبعد لحظات، دخل واين إلى المنزل. . نظرت أماندا إلى العمة قبل أن تعيد نظرها إلى وجهه الأسمر الغاضب.

قال بفظاظة: حسناً. . لديك خيار.

ـ خيار؟

ـ أجل. . هل تريدين النتيجة الآن أم الاستمتاع بالغداء أولاً؟

قفز نبض بوجل في منتصف عنقها.

ـ أنا. . أنا. . لا. .

تدخلت العمة ليزا بسرعة معترضة:

ـ واين. . أنت تخيف الطفلة.

أحنى رأسه ساخراً: «أعتذر. . هل نذهب إلى مكتبتي وننهي الأمر أماندا؟»

لحقت به عبر الممر إلى جو مكتبه الصارم حيث وقفت تواجهه وشعور بالخوف يتصاعد من جديد إلى قلبها. أهذا الغضب الذي يبدو عليه نتيجة نجاحه في رحلته أم فشله؟ صعب أن تعرف فمزاج واين يتقلب بسرعة مخيفة.

كان هناك على مكتبه صورة لنورما، ملامحها جميلة، عيناها سوداوان مضاءتان بمرح لطيف، شعرها الأسود ملتف حول كتفيها بخصلات حريرية. . ما الذي دفع هذه الطفلة الجميلة إلى السرعة على طريق جبلي لتتحطم وتموت؟

رفعت بصرها فرأت واين يراقبها مفكراً. قالت بصوت مختنق:

«واين. . لم تجد بالتأكيد. . .»

وثبت شعلات الغضب من عينيه:

ـ أخشى أنني وجدت.

صاحت يائسة: «لا أصدقك! إنها خدعة لدفعي إلى تنفيذ وعدي. جو لن. .»

قاطعها بوحشية: «بل يفعل».

فتح حقيبة أوراقه، وأخرج رزمة من الصور، رماها بين يديها:

ـ انظري إلى هذه، وتأكدي من التاريخ المطبوع عليها، الوقت والمكان مدونان في أسفل كل صورة.

درست أماندا الصور فتقلصت معدتها بشكل غريب، أمامها صورة لجو ولفتاة سوداء الشعر مأخوذة في ناد ليلي، وكان هناك شيء حميم في الطريقة التي يعانقها بها. وهناك أخرى لهما وهما يدخلان مجمعاً للشقق على الشاطىء في الأمسية نفسها. كانا يرتديان الملابس نفسها وأخرى للفتاة وهي تغادر المبنى في الصباح التالي.

سمعت واين يقول وهي ترمي الصور إلى الطاولة:

ـ الشقة مسجلة باسم السيد والسيدة بارسلي. .

ـ من أين حصلت عليها؟

ـ استخدمت تحرياً خاصاً لملاحقته في الأسبوعين الماضيين.

أحست أنها سقيمة جسدياً. . وجنتاها شاحبتان كالأموات وفي عينيها تعبير مجروح.

ـ أظنك. . شخصاً لا يطاق. . وأنا. .

قاطعها بلا رحمة:

ـ حملت إليك الدليل أماندا. . دليل حقيقة جوناس بارسلي. . وأتوقع منك الآن أن تفي بوعدك.

ـ لا تقل لي إنك تأخذ تلك الاتفاقية السخيفة على محمل الجد؟

سألها ساخراً: «وهل تريدين التراجع الآن بعد خسارتك؟»

ـ لا . . سأنفذ ما عليّ من الاتفاق . . سأتزوجك . . أنا . .

وتلاشى صوتها بسبب تدافع الدموع الحارة إلى عينيها، تمتمت: «لا شيء مهم الآن».

وضع منديلاً أبيض في يديها:

ـ لا يستحق جوناس بارسلي دموعك.

تأوهت وهي تمسك المنديل لتحاول إيقاف الدموع:

ـ أنت لا تفهم. . أنا أحبـ . . أحبيته.

همهم كلمات غير مفهومة، فجأة وجدت نفسها بين ذراعيه، ورأسها على صدره. . كانت حركة مريحة، غير متوقعة، أمسك بها بثبات حتى توقف نشيجها الصامت.

أخيراً، تمكنت من القول بصوت مخنوق:

ـ أنا آسفة. . أظن مظهري غير مرتب.

أبعدت نفسها عن ذراعيه، ومسحت وجهها. .

قال لها: أظن أن من الأفضل لنا الإسراع في الزواج. . سأتصل بوالدك بعد الظهر وأطلب يدك رسمياً، وإذناً خطياً منه، لأنك ما زلت دون السن القانوني.

أحست أن كل مشاعرها هجرتها:

ـ أنت جاد إذن بالنسبة للزواج بي؟

ـ لم أكن قط جاداً كما اليوم.

ـ مع أنني لا أحبك؟

أمسك يديها المرتجفتين بين يديه:

ـ أماندا. . أؤمن أن الزواج الذي أساسه الصدق والاحترام أنجح من الزيجات الأخرى. ومع الوقت يا عزيزتي، سنكون سعيدين كالآخرين.

انفردت بنفسها في غرفتها حيث راحت تتأمل ثانية تلك الصور اللعينة، وانطلق الألم الشديد في كل جسدها. لم ينتظرها جو، ففي أسبوعين قصيرين وجد لنفسه امرأة أخرى تزوجها. . ماذا بشأن ادعائه بأن

راتبه غير كاف لإعالة زوجة؟

من الواضح لها الآن أن ما من رجل يمكنها الوثوق به. لقد وثقت بجو، وبسبب هذه الثقة الغبية، سمحت لنفسها بالوقوع في فخ اتفاق مع واين. . اتفاق هي الآن مجبرة على الإيفاء به.

لكن هل يهم من ستتزوج؟ إذ تبددت آمالها وأحلامها الطفولية ولن تحب مرة أخرى. . أبداً! من المؤلم أن تحب. . فالحب لا يجلب سوى الألم والبؤس وخيبة الأمل.

قال لعمته عندما استدعاها إلى مكتبه، إنهما سيتزوجان بعد أقل من شهر. أما الزواج بالنسبة لأماندا فكان أمراً لا تستطيع التفكير فيه بجلاء. . إنه متعجرف ومتسلط. وهذا يعني أنه سيكون زوجاً متطلباً قاسياً، وهذا ما لن تقدر على تحمله. لن تحب واين. . ولكنه لم يعرض عليها الحب بل الزواج. . ولكن، الزواج يحمل معه التزامات كثيرة، يخيفها مجرد التفكير فيها. . فهل سيطلب واين أن تقوم بواجباتها الزوجية، وهذا حق له عليها.

غطت وجهها بيديها لأن الدم ارتفع إلى وجنتيها، ثم ارتد الدم تاركاً إياها شاحبة كالأموات. . ما زال هناك وقت للخلاص. ولكنها ليست جبانة. . يجب أن تواجه المستقبل، وعليها أن تفي بوعدها بوقار وترفع. ستنقذ ماء الوجه بزواجها من واين، وبهذا ستظهر لجو أنها نجت من علاقتهما سليمة معافاة. لن ترضي غروره بأن يعرف أنه بتركه إياها قد حطم حياتها.

سيكون للزواج بواين حسناته. . فهو ثري وكونها زوجته سيكون لها حق الوصول إلى ثروته. . خرجت منها آهة مخنوقة، ثم رمت نفسها على السرير تدفن وجهها في الوسادة. . إنها متعبة. . متعبة من المقاومة من أجل فضائل جو غير الموجودة. . متعبة من مقاومة رغبة واين في الزواج بها والأكثر من أي شيء آخر أنها متعبة من محاولة فهم ما آلت إليه حياتها.

كانت الأسابيع الثلاثة التالية عبارة عن سلسلة رحلات مكوكية إلى «بورث اليزابيت» لتختار قماش ثوب عرسها وأثواب أخرى. كان واين قد

www.elromancia.com

رتب أمر قضاء شهر العسل في جزيرة «موريشوس» وأصر على وضع كمية كبيرة من المال في حساب مصرفي لها، حتى يتسنى لها شراء جهاز مناسب. .

لم يكن لديها وقت للتفكير في قرارها، فقد شاركتها العمة ليزا بكل التحضيرات المعدة، لاستقبال المدعوين. كانت أماندا تنام نوماً خالياً من الأحلام بسبب الإرهاق، وهذا واقع أنقذها من ساعات التوتر والقلق.

لم تشاهد واين كثيراً في هذه المدة ولم ينجح شيء حتى الخاتم الألماسي الفاخر الذي وضعه في اصبعها في تشويش رباطة جأشها غير العادية. لم يحاول مرة تعريضها إلى مواقف حميمة لا تريدها بل ظلّ في أوقات كثيرة غير متأثر بها.

وصلت رسالة عاطفية من سارة تعتذر فيها عن الدور الذي لعبته في خطة واين. . وتقول إنها سعيدة لانقلاب الأمور إلى صالح أماندا. ولكن رسالتها لم تؤثر بأماندا.

أعطاها واين حرية أكبر في هذه الأسابيع. ووضع المرسيدس تحت تصرفها في رحلتها إلى «بوسانسڤيلي» البلدة الصغيرة الهادئة التي كانت تقدم الخدمات للمجتمع الزراعي هناك. بدا أن الجميع يعرفها أو سمع عنها. كان هذا أمراً محرجاً أحياناً، مع أنه كان يشعرها أنها ليست غريبة. . وكانت تعرف كذلك أن جميع الناس في بلدة صغيرة مثل «بوسانسڤيلي» يعرفون كل شيء عن الجميع في البلدة إضافة إلى الضواحي المحيطة.

كان الناس ودودين نشيطين، ومرحبين. . بالنسبة لهم كانت زوجة واين هاوسلي العتيدة وهو شخص ذو أهمية ومكانة.

خرجت باكراً ذات صباح تتنزه على ظهر الفرس، تستكشف المزرعة. . فاكتشفت كوخاً متوارياً بين الأشجار، غير بعيد عن المنزل الرئيسي. دفعها الفضول للتقدم نحوه، فاكتشفت ويا للبهجة ما كانت تتمناه سراً بينها وبين نفسها. . منزل ريفي صغير مع تعريشة لبلاب تتسلل

على كل جدرانه، وحديقة مرتبة بدقة، ليس كتلك التي للمنزل الكبير، لكن الجو الرائع الذي تضفيه، يعطي انطباعاً بأن أيادي محبة زرعت كل غرسة وبذرة فيها، إضافة إلى العناية بالورود المزهرة بغزارة.

برزت امرأة من وراء الكوخ، شعرها الأحمر القاتم معقود إلى الخلف على شكل ذيل حصان، وعلى وجهها ابتسامة:

ـ مرحباً! لا بد أنك خطيبة السيد هاوسلي.

ـ أجل.

ـ أنا كريستين غولدستراند. . زوجي فرانس هو مدير مزرعة السيد هاوسلي.

نظرت إليها أماندا بدهشة:

ـ لم يكن لدي فكرة أن لواين مدير مزرعة.

ضحكت المرأة: «يا إلهي. . بلى. . إن هذه المزرعة أكبر من أن يستطيع السيد هاوسلي إدارتها بمفرده خاصة وهو لا يستطيع البقاء هنا وقتاً طويلاً. فرانس هنا منذ ثلاث سنوات أي منذ تقاعد المدير السابق. .»

رفعت يدها لتحمي عينيها من أشعة الشمس:

ـ لقد أعددت إبريق شاي. . سأشعر بالوحدة إن احتسيته بمفردي فهل تنضمين إليّ؟

أبعد دفئها شيئاً من البرودة عن قلب أماندا فترجلت وقالت:

ـ على فكرة. . اسمي أماندا.

تمتمت المرأة التي راحت تقوم بعينيها الرماديتين زائرتها:

ـ أماندا. . اسم جميل محبوب لفتاة جميلة مثلك.

تورد وجه أماندا بسبب الإطراء. لحقت بالمرأة إلى الكوخ متنشقة رائحة الخبز المنزلي اللذيذ، ولحم الخروف في الفرن.

قالت كريستين بلطف:

ـ يجب أن تعذريني على عدم ترتيب منزلي. . عدنا منذ قليل من عطلة ولم تتح لي فرصة ترتيب شيء.

www.elromancia.com

أدركت ساعتئذ سبب بقاء واين في المزرعة شهراً بعيداً عن أعماله في المدينة، إذن أخذ فرانس غولدستراند عطلته السنوية مع زوجته وابنه الصغير الذي كان مستلقياً يرفس ويناغي في مهد حُمِل إلى المطبخ. التفت اصبعه الصغيرة حول اصبع أماندا عندما مالت فوق المهد.. وبعد لحظة تردد، شاهدت الابتسامة الخالية من الأسنان التي أذابت ما تبقى من الثلج حول قلبها.

قالت متنهدة، تحمل الطفل تحتضنه إلى صدرها: إنه فاتن..!

ضحكت كريستين:

ـ ومفسود دلالاً بسبب هذا.

وضعت فنجانين على طاولة خشبية مصقولة وصبت الشاي.

كان الجلوس لتناول الشاي وطفل كريستين في حضنها تجربة فكت التوتر الذي شعرت به أماندا التي شعرت بالاسترخاء للمرة الأولى منذ ذلك اليوم الكريه الذي وافقت فيه على الزواج بواين.

قالت كريستين أخيراً، وهي تتناول الطفل منها:

ـ لقد حانت قيلولته.. لا تذهبي أماندا.

وخرجت من المطبخ تحمل الطفل، ثم عادت بعد لحظات:

ـ الآن سنستريح. حدثيني عن نفسك أماندا؟

قالت بسرعة: «لا شيء كثير في الواقع».

ـ لقد ظننا أنا وفرانس بأن السيد هاوسلي لن يتزوج أبداً.. قال فرانس إنه يبحث في المرأة التي يريد أن يتزوجها عن شروط معينة وعلى ما يبدو أن لديك هذا الشيء المميز الذي كان يبحث عنه.

لوت ابتسامة جافة شفتي أماندا التي غيرت دفة الموضوع.

ـ الواقع أنه لجرأة مني أن أزورك هكذا عن غير توقع، ولكنني اكتشفت منزلك صدفة.

ـ آه! لا اعتراض عندي أبداً. أشعر بالوحدة أحياناً بدون وجود من أتكلم معه سوى فرانس الذي قلما يكون في المنزل.. زارتنا عمة السيد

هاوسلي مرتين.. وزرتها في المنزل الكبير مرة أو مرتين، لكنني لا أريد أن أكون مزعجة.

فهمت أماندا بالضبط ما تحس به، فرق لها قلبها الرقيق:

ـ كريستين.. هل سترحبين بي في منزلك بعد.. بعد زواجي بالسيد هاوسلي؟

ـ أجل.. بالتأكيد.

ـ وهل ستأتين لزيارتي أيضاً؟ أظنني سأجد المكان موحشاً أحياناً بدون رفيقة في مثل عمري.

هزت كريستين رأسها بحزن: من المؤسف أن نورما ميتة.. كانت مفعمة بالحياة.

ـ أكنت تعرفينها؟

تنهدت كريستين: «لا.. لكن عاملات المزرعة اللواتي عملن هنا منذ سنوات، لا يتوقفن عن التحدث عنها. لقد وقع ذاك الحادث الرهيب قبل بضعة أشهر على وصولنا. ومنذ ذلك الوقت تغير السيد هاوسلي عما كان عليه. يقال إنه كان كثير الضحك في حياة شقيقته».

استوعبت أماندا كل هذا بصمت، فحاولت أن تتصور واين (الآخر) الذي يضحك ضحكة عميقة خالية من السخرية ويتكلم كلمات عذبة ليس فيها تلك النبرة القاسية.

تعمدت أماندا الخوض في هذا الموضوع لتفهم الرجل الذي ستتزوجه بشكل أفضل:

ـ الشائعات تقول إنها انتحرت.

صبت كريستين الشاي مرة ثانية:

ـ أجل.. لقد سمعت هذه القصة.. يعتقد الجميع أن في الموضوع رجلاً ما. ولا أستطيع الجزم بهذا، ولكن لا يدهشني أن يكون ذلك صحيحاً.

عندما امتطت فرسها عائدة إلى المنزل كان أمام أماندا الكثير لتفكر

فيه. . أمن الممكن أن هذه الفتاة الجميلة التي رأت صورتها على طاولة واين قد انتحرت بسبب رجل أحبته وخذلها؟ ولماذا يلوم واين نفسه إذا كان الأمر هكذا؟ أتكون العمة ليزا قد فسرت تصرف واين خطأ؟ قد يكون الجميع على خطأ، وربما وقع موت نورما صدفة. على أي حال، من الغريب أن واين وعمته نادراً ما يتكلمان عن نورما، وكأنها لم تكن.

بدأ المدعوون بالوصول قبل يومين من موعد الزفاف، الذي سيجري في كنيسة حجرية صغيرة في بلدة «بوسمانسڤيل». . من بين أوائل الوافدين والد أماندا الذي رغم لومها إياه على تعاستها أصبح واحة راحتها في بحر من الغرباء الذين هم عبارة عن أقارب واين وزملائه الذين أجبرت نفسها على التظاهر أمامهم بالسعادة.

قال لها والدها وهما بمفردهما في الحديقة:

ـ أنا مسرور لأنك تخلصت من هيامك بجو. . سيكون واين زوجاً رائعاً. .

غمرتها المرارة ولكنها أجبرت نفسها على الابتسام وغيرت الموضوع بسرعة:

ـ هل أنت سعيد في كايب ثاون أبي؟

تأبط ذراعها واقتادها نحو المنزل حيث يقدم الشاي إلى الجميع على الشرفة:

ـ سعيد جداً. . أشتاق إليك، ولكن بعدما عرفت أنك ستجدين السعادة في زواجك فأنا راضي النفس.

تجد السعادة في زواجها! سخرت منها الكلمات بقسوة. ولكن قلبها لم يطاوعها في إيقاظ أبيها من أحلامه. . لن تحتاج يوماً إلى مال لأن واين سيؤمنه لها ولكنه لن يتمكن أبداً من تقديم شرارة السعادة الداخلية التي يجلبها الحب فقط.

عجّ المنزل الكبير بالناس لذا لم يلحظ أحد الجمود بين العروسين. . كانت أعظم مفاجأة سارة لأماندا يوم زفافها، هي وصول سارة لاوسون

وبراد ليفر. اندفعت سارة إلى غرفتها ذلك الصباح، فيما كانت العمة ليزا تساعدها في ارتداء فستان عرسها، وقفزت عليها، تحتضنها بقسوة كادت تزهق أنفاسها.

قالت أماندا منفعلة: «سارة. . ما أروع رؤيتك! لم أظنك قادمة».

ـ حبيبتي. . عندما تلقيت دعوتك، قمت بترتيبات فورية لأسافر إليك.

قالت العمة بكل لباقة: «سأترككما بمفردكما قليلاً».

توقفت أمام الباب:

ـ تذكرا، بضع دقائق فقط، وإلا لن نجهز في الوقت المحدد للذهاب إلى الكنيسة. . تبعد «بوسمانسڤيلي» ثلاثين كيلو متراً.

نظرت إليها أماندا شاكرة ولكنها تجهمت حالما أغلقت الباب. .

قالت سارة: «حبيبتي. . أنا سعيدة لأنك أدركت حقيقة جو في الوقت المناسب، ألست سعيدة الآن؟ واين رجل رائع».

ـ أجل. . واين. . رائع. . إنه. .

قالت سارة بلهفة: «ماندي، حبيبتي! لقد شحب لونك كثيراً. . أتشعرين بالغثيان؟»

استجمعت أماندا شتات نفسها:

ـ لا. . لست هكذا. . ولكنني أدركت فجأة ميزة هذا اليوم. . إنه يوم عرسي.

ضحكت سارة:

ـ بالتأكيد أيتها السخيفة. . أنت تشعرين بالقلق الذي يسبق الزفاف وهذه حال كل عروس.

أجبرت أماندا ابتسامة على شفتيها:

ـ أجل. . أعتقد هذا.

تنهدت سارة: «ماندي. . تبدين جميلة. . طالما قلت إنك جميلة ولكنك اليوم تفوقين الجمال العادي. سيكون واين فخوراً بك».

www.elromancia.com

تصاعدت غصة إلى حلق أماندا ولكن وصول العمة أنقذها من الرد. قبلتها سارة بسرعة.

ـ أراك لاحقاً!

مررت العمة ليزا عيناً انتقادية على أماندا:

ـ همم. . القليل من الأحمر على الوجنتين، أعتقد. . أنت في غاية الشحوب.

ارتدت أماندا عن المرآة وأمسكت ذراع العمة:

ـ عمتي ليزا. . أنا خائفة!

ـ يا طفلتي العزيزة. . ليس واين وحشاً.

ـ لكنني لا أحبه!

رقت عينا العمة: «لم أكن أحب زوجي يوم تزوجته. . ولكنني لم أجد من هو أفضل منه. كان لطيفاً متفهماً لذا لم يمضِ على زواجنا بضعة أسابيع حتى أصبحت مجنونة بحبه. لم أستطع أن أتصور لماذا لم أدرك بسرعة أنه الرجل الوحيد لي».

لم يخفف قول العمة من خوفها. قالت بحزم: «لا أريد أن أحب رجلاً بعد الآن، أو أن أحبَّ كما أحببت. . .».

عضت شفتها عاجزة عن نطق اسم من أصبحت تحتقره.

قالت العمة بإصرار هادىء:

ـ ستحبين مرة أخرى أماندا. . وفي هذه المرة سيكون حبك ناضجاً بحيث يدوم إلى الأبد.

ـ لن أستطيع أن أحب واين!

ـ يشعل الحب عادة حباً آخر عزيزتي. . ألم يخطر ببالك أن واين قد يكون واقعاً في حبك؟ ألم تفكري أن من الغريب على من بقي أعزب مدة طويلة، أن يلجأ إلى كافة الوسائل والسبل ليتزوجك؟

ارتجفت أماندا رافضة هذا الاقتراح ولكنها مع ذلك وجدت الفكرة مثيرة للاهتمام بحيث لم تبارح أفكارها طوال رحلة الذهاب إلى

«بوسمانسفيلي» وفي الفترة التي سارت فيها متأبطة ذراع أبيها الذي كان يوصلها إلى المذبح حيث بدا واين طويلاً وسيماً، مميزاً ببذلته السوداء، في تلك اللحظة عاودها الخوف. كان شعره الأسود ممشطاً وبدا أن عينيه الفريدتين لم تفارقا وجهها منذ وطئت قدمها باب الكنيسة. إنه حلم كل فتاة ولكنها مع ذلك لم تستطع سوى التمني على الله لو كانت بعيدة عنه ملايين الكيلومترات. لقد بدا لها بارداً مبتعداً فسخرت من اقتراح العمة التي ظنت أنه يحبها.

رفع هامش لارج البرقع عن وجه ابنته، وطبع قبلة على جبينها. . لاحظت ترقرق الدموع في عينيه، فابتلعت غصة ارتفعت إلى حلقها. ولكنها سرعان ما استردت رباطة جأشها وذلك حين أمسك واين يدها ودسها في ذراعه بكل برود. أليس هناك ما يثير أعصابه؟

تلاقت عيونهما عن غير قصد. والغريب أنها لم تتمكن من انتزاعهما منه ولكنها رأت شيئاً من الإعجاب في أغوارهما، وشيء آخر لم تتمكن من تحديده في تلك النظرة القصيرة التي سرعان ما توارت عندما صوب اهتمامه إلى الكاهن الذي تنحنح إشارة إلى بدء المراسم.

في تلك اللحظة، استولى عليها الذعر. . ستصبح زوجة واين ابتداء من صباح هذا اليوم الدافىء من أيام نيسان ولقد فات أوان التراجع أو الندم. . اجتاحت رعشة رهبة جسدها، وأطبقت يد واين على يدها فوراً. وكانت إشارة مريحة بشكل غريب، مثلما كانت يوم بكت بين ذراعيه بعد علمها بزواج جو. في تلك المناسبة وعت قوته جيداً وها هي تعيش تلك اللحظة الآن. عرفت فجأة أنه وإن لم يمتلك حبها سيمتلك احترامها.

لم تجر حفلة استقبال بناء على طلب واين بل مجرد غداء في الهواء الطلق لمن قطع مسافات طويلة ويريد العودة في اليوم نفسه. كانت حقائبهما موضبة وبعدما تناولا شيئاً بسيطاً من الطعام، قام بتوديعهما عمال المزرعة لأنهما يستعدان للسفر جواً إلى «بورث اليزابيت» في أول محطة لرحلتهما إلى «الموريشوس».

نظرت إلى خاتم الزواج، وإلى خاتم الخطوبة عدة مرات أثناء طيرانهما.. عندما بدلت ثيابها، تسنى لها محادثة والدها بضع دقائق فودعته من صميم قلبها.

حادثها واين حديثاً ممتعاً عندما كانت أمتعتها تنقل من الطائرة الصغيرة إلى طائرة البوينغ، ولم يمهلها وقتاً لتفكر في توترها.

وصلا إلى جزيرة «موريشوس» في وقت متأخر من بعد الظهر واستقلا سيارة أجرة أقلتهما إلى الفندق على الشاطىء. كان واين قد حجز جناحاً تطل فيه غرفة النوم على شاطىء رائع الجمال غني بأشجار النخيل الباسقة.

قال لها بعدما أفرغا حقائبهما:

ـ لقد حجزت في قاعة الطعام الرئيسية.. فكرت أن من الأفضل أن يكون حولنا الناس هذا المساء بدل أن نقضيه بمفردنا.

التوت شفتاه بابتسامة فظة وهو يطلق تعليقه، ولكنه لم يتابع الموضوع، بل انتظر بهدوء حتى تفحصت ماكياجها قبل أن يتركا الجناح ويستقلا المصعد وصولاً إلى الطابق الأرضي.. طلب واين عصير الفاكهة الطازجة قبل الطعام، لكن أماندا لم تستطع أن تجبر نفسها إلا على ارتشاف بضع رشفات. بدت الليلة ممتدة قاتمة ومخيفة أمامها، ورغم محاولاتها لم تستطع تحرير نفسها من فكرة مبيتها الليل بطوله مع واين.. إنه زوجها، ومع ذلك تخاف أن يلامسها.. يا الله! ماذا ستفعل؟

كان العشاء كابوساً لا تظن أنها قد تنساه أبداً. عندما عادا أخيراً إلى جناحهما كانت يداها باردتين مضطربتين، ووبخت نفسها على سخافتها. لكنها لم تستطع منع نفسها من التوتر.

أظهر واين دبلوماسية مذهلة، إذ تركها عند الباب قائلاً إنه يحتاج لشراء السكائر، هكذا ظلت بمفردها بحيث استطاعت الاغتسال وارتداء ثوب نوم حريري مخرّم أصرت العمة ليزا على شرائه لها لشهر عسلها، كان شفافاً ويكشف الكثير من حناياها. احترقت وجنتاها رعباً وهي تفكر

في أن واين سيراها في هذا الثوب، فلبست بسرعة الروب الأزرق القاتم الذي كان هدية وداع من أبيها.

قفزت مذعورة عندما انفتح الباب ودخل واين وهو في كامل ثيابه. أخذ قلبها يخفق بعنف حتى وجدت للحظات صعوبة في التنفس.

طافت نظرته بها بسرعة ثم التوت شفتاه بابتسامة رضى.. أشار إلى إبريق العصير ثم تقدم ليملأ الكوبين قبل أن يجذب كرسياً، أما هي فكانت جالسة على كرسي الزينة خلفها. وضع الكوب في يدها.

انسكب بعض العصير على أصابعها فقال ملاحظاً توترها:

ـ استرخي عزيزتي.. لا أنوي الانقضاض عليك ومطالبتك بحقوقي الزوجية وأنت في مثل هذه الحالة من التوتر.

شعرت بالراحة تتدفق إلى عينيها كالمخدر واندفعت الدموع إلى عينيها.

ـ آسفة.. واين.. ليتك تمهلني بعض الوقت.

ـ سأمهلك كل الوقت الذي تريدين! أستطيع الانتظار.

عاد اللون إلى وجنتيها وهي ترفع بصرها إليه لأنها رأت ابتسامة ساخرة صغيرة تعلو شفتيه قبل أن يرد على سؤالها الذي لم تتفوه به:

ـ في غرفة الملابس أريكة تبدو مريحة.

تورد وجه أماندا التي غضت طرفها لأن ضميرها راح يؤاخذها بشدة، فهمست مجدداً: أنا آسفة.

ـ توقفي عن الاعتذار واشربي العصير.. ولنصمم على الاستمتاع بعطلتنا القصيرة.

عندما تمنى لها ليلة سعيدة تركها التوتر فدخلت إلى الفراش باكية.. بكت ارتياحاً، مطلقة كل المشاعر التي كبحتها في الأسابيع الماضية، عن وعي أو غير وعي منها. بكت حتى أجهدها البكاء فتسللت بين الأغطية الباردة.. ونامت.

***

٨ ـ ما هو الحب؟

بعد بداية مليئة بالدموع، في ذلك الأسبوع المشبع بالشمس على الجزيرة، وجدت أماندا نفسها مسترخية، وأصبحت العطلة حلماً رائعاً. لم يكن أمامهما غير قضاء أيامهما في السباحة في مياه المحيط الهندي الزرقاء، أو الاسترخاء على الرمال المتلألئة.

ليالي «موريشوس» دافئة وعطرة. كانا يتناولان وجبتهما المسائية على شرفتهما الملحقة بالجناح، بعدها كانا يتجولان على الشاطىء المهجور تقريباً المستحم بنور القمر. كان كل شيء مناسباً لشهر عسل رومانسي. فهل اختار واين هذه الجزيرة عن قصد والفكرة في ذهنه؟ هل أمل بأن يؤثر جو الجزيرة الرومانسي بها؟

من العبث التفكير في مثل هذه الأفكار.. إن واين رغم ظروف زواجهما غير الطبيعية في غاية الجاذبية.. لكن الجدار المنيع بينهما ظل بلا مساس. أصبح إمساكه يدها وهما يسيران على الشاطىء أمراً طبيعياً، وكذلك الحال بالنسبة لعناق المساء السريع. أصبحت معتادة على رؤية شعره الأسود متدلياً على جبهته بعد السباحة، وبدأت تُعجب بعضلات جسده الأسمر المتناسقة.

اكتسبت أماندا لوناً ذهبياً قاتماً.. ووجدت أنها تتمنى لو تطول إقامتهما هناك. فقد بدأت تكتشف أشياء عن زوجها أثارت دهشتها، فتحت مظهره الخارجي الفظ كان هناك لطف نادراً ما تراه، وخلف سخريته ضعف تركها تظن بأنها لو أرادت لاخترقت دفاعاته ولاكتشفت واين

هاوسلي الحقيقي.

أمضت أماندا آخر أيامهما هناك على الشاطىء، أما واين فذهب يسبح. كان الاستلقاء على الرمال مريحاً وهادئاً، والإصغاء لأصوات تكسر الأمواج على رمال الشاطىء منعشاً.. إنها الآن تراقب واين يتقدم نحوها.. ولم تكن غافلة عن نظرات الإعجاب التي ترسلها إليه النساء وهو يمر بهن. تفرست بحدة في منكبيه العريضين وشعره الأسود الأشعث.

قال وهو يجفف جسده بمنشفة قبل أن يقعد قربها على الرمال:

ـ كان عليك المجيء للسباحة بدل الكسل تحت أشعة الشمس.

سعت عيناه إلى عينيها، وسألها بسخرية لطيفة:

ـ هل اشتقت إليّ؟

ردت بسؤال: «وهل يرضي غرورك لو قلت نعم؟»

ـ سيكون هذا إشارة إلى أن جهودي لم تذهب سدى.

تسمرت أماندا في مكانها وراحت وجنتاها تتوردان أمام نظرته الممعنة. إنها المرة الأولى التي يشير فيها إلى علاقتهما.. تجنبت عينيه، لكن يده امتدت إلى ذقنها فاضطرت إلى ملاقاة نظرته.

ـ لا تأخذي كل ما أقوله على محمل الجد. كنت أمازحك.

خجلت من نفسها لأنها قرأت في كلامه أكثر مما ينوي قوله، أمسكت يده بيديها وضغطتها على خدها، غير مهتمة بما قد يفسر به هذه الحركة.

قالت: سامحني واين.. لقد كنت في غاية اللطف معي. ولم أكن الزوجة المثالية. وإن ظننت أن هذا لم يزعجني، فأنت علي خطأ.. أنا..

قاطعها: «إنسي الأمر».

لم يهتم بمن قد يراهما إذ انحنى إليها يعانقها ثم أضاف:

ـ قلت لك إنني سأنتظر، في الوقت الحاضر يكفينا انشغالنا بالتعرف إلى بعضنا بعضاً.

بهذا أقفل الموضوع فعمت الراحة نفس أماندا. إنها بحاجة إلى

وقت . . الوقت لتكيف نفسها مع المطالب التي سيحملها إياها في النهاية.

تم الاستقرار في جناح المنزل الرئيسي بدون صعوبات تذكر. إذ انتقل واين إلى غرفة الملابس الملحقة بغرفة النوم فيما احتلت أماندا غرفة النوم الرئيسية ذات السرير الضخم.

كان تسلم إدارة ذلك المنزل الفسيح تحت إشراف العمة ليزا، مهمة صعبة. لكن العمة ليزا أصرت عليها حتى تتعلم كل ما يتوجب عليها معرفته في أسرع وقت ممكن. . فقد آن لها أن تستريح.

كانت العطلة بالنسبة لواين قد انتهت بكل ما في الكلمة من معنى. . فاختفى الرجل المستريح وحل محله الرجل العملي البارد، الذي كان يقسم وقته بين المدينة والمزرعة. سرعان ما اكتشفت أماندا أن لديه طاقة لا تنفد في كل مهمة يتولاها، وأنه لا يضطرب أبداً عندما تواجهه المتاعب. أدركت كذلك لماذا كان يتابع عمال مزرعته تعليماته بدقة، لأنه كان منصفاً لهم ومستعداً للإصغاء إلى ما يريدون قوله.

مع مرور الوقت بدأت تعتاد على غزوه المنظم وغير المنظم لخلوتها، وعلى رؤيته خارجاً من الحمام وشعره المبلل ملتصق برأسه. كان قد اعتاد على الدخول إلى غرفتها ليلاً قبل أن ينام، وسرعان ما أصبح هذا عادة لطيفة تتطلع شوقاً إليها. كانا يتحدثان عما جرى ذلك النهار ويقومان بمناقشة الأحداث المهمة، يحافظان على صمت لطيف بينهما فيما يدخن آخر سيكارة له قبل النوم. وقبل أن يتركها، كان يلثم قبلة سريعة على خدها، وكأنها التفاتة أبوية كانت تشعرها بأنها طفلة لا امرأة، ولأنها امرأة بدأت ترفض المنوال الذي تجري فيه حياتها.

صدمها تقريباً أن تدرك أنها نادراً ما تفكر في جو. وعندما كانت تفكر به لم تكن تشعر بألم أو ندم. قست تجربتها قلبها ونفسها وعلمتها أن تحذر الرجال ذوي الألسنة الحلوة والتصرفات المصقولة. وجدت نفسها بدلاً من ذلك تتوق إلى صحبة واين، وإلى سماع صوته وإلى الإحساس بلمساته العفوية. كانت في بعض الأحيان تضبط نفسها وهي تصغي إلى

وقع قدميه أو إلى ضحكته التي تنطلق بعذوبة عندما يجد ما هو مسل والأنكى أنها أصبحت تتوق إلى الإحساس بذراعيه القويتين حولها. . وهو توق كان يتركها عادة مرتجفة ومرتبكة.

اقترحت عليها كريستين غولدستراند صبيحة يوم ركبت فيه أماندا فرسها لتزورها:

ـ لماذا لا تطلبين منه اصطحابك في إحدى رحلاته؟

وهذا ما فعلته بالضبط عندما وجدت واين في غرفته بعد وقت قصير من الغداء. . وأحست بضيق شديد في صدرها وهي ترى الحقيبة المفتوحة على سريره:

ـ خذني معك.

ـ لماذا؟

ـ حسناً . . يمكنني القيام ببعض التسوّق في «بورث اليزابيت» أو . .

ارتدّ إليها بفظاظة:

ـ أترينني أبله؟ أتظنين أنني لا أعرف أن انشغالي بأعمالي طوال اليوم سيتركك حرة لقضاء الوقت مع جوناس بارسلي . . متى شئت؟

صاحت بغضب: «إنها كلمات حقيرة».

لكنها كرهت نفسها لأنها لم تعترف له بأنها تريد الذهاب معه لتكون على مقربة منه.

تابع يقول: «ربما ليست بالحقارة التي تظنينها. أتعتقدين أنني لم ألاحظ تلك النظرات الشاردة عندما تكونين معي، وحتى عندما لا تكونين؟ كلما لمستك أو حدثتك حديثاً شخصياً تقوقعت على نفسك وكأنك فرس وجلة. وأجرؤ على القول أنني لو كنت جو لأحسست ببعض حرارة الدم في مشاعرك».

ـ هذا غير صحيح! طلبت منك إمهالي بعض الوقت. .

قاطعها بقرف: «وقت؟ نحن متزوجان منذ شهرين أماندا، وقد تركتك فيهما وشأنك. . في هذه الرحلة سأغيب أسبوعين، لكن قبل أن

www.elromancia.com

أذهب. . أريد أن أترك لك شيئاً تفكرين فيه. . عندما أعود أماندا علينا أن نتمم شروط زواجنا. . أنت زوجتي وآن الوقت لتفي بواجباتك الزوجية. . هل هذا واضح؟»

كادت تقول: «واضح تماماً» لكنها لم تلفظ كلمة، بل وقفت هناك تمسك بالجدار لتدعم نفسها ولتذوب ببطء أمام نظراته المشبعة بالاحتقار.

ارتجفت فلمّا رأى منها هذا اشتدت شفتاه وارتدّ يقفل الحقيبة.

ـ كنت صبوراً معك أماندا. لكنني لن أكون صبوراً بعد اليوم. . إنسي جو. . إنه ملك امرأة أخرى، وأنت ملك لي.

ـ تشعرني بأنني شيء اشتريته في «بازار».

ارتدّ إليها، ورنة المرارة واضحة في صوته. . لاحظت للمرة الأولى خطوط التعب تشق بشرته، كما لاحظت أن الشعر الرمادي على فوديه أكثر ظهوراً. أمسك بها شعور لم تستطع شرح كنهه فيما كانت تغرق في ظلام عينيه.

ـ لو كان لدي الفرصة أماندا لجعلتك المرأة التي يجب أن تكوني بدلاً من الطفلة المشوشة التي أنت عليها الآن.

بعد وقت طويل من رحيله ظلت هذه الكلمات ترن في أذنيها، تعذبها، تثيرها، وتتركها متسائلة. حينما التقت واين للمرة الأولى، أدركت أن عنده القدرة على جعل أية امرأة تشعر بأنها مهمة له. . إن عدم اهتمامه بالنساء من حوله، عدا التي معه، كان يضيف مزايا كثيرة إلى شخصيته الساحرة. لقد شاهدت نظرات النساء إليه ومع ذلك لم يظهر أقل اهتمام بهن.

هي غير محصنة أمام غزله ومداعباته. . فهل من الصعب تبعاً لهذا أن تترك لمشاعرها العنان وتسمح له أن يفعل ما يريد؟

كان تقويم مشاعرها على هذا النحو من برودة الدم أمراً جديداً عليها، أرعبها. لكنها كانت تعرف أن الوقت حان لإجبار نفسها على النظر إلى نفسها نظرة مجردة.

أهملها واين أسبوعين للتفكير. وهذا بالضبط ما تحتاجه. لم يعد هناك مجال للتهرب الآن. لا مجال للخلاص مما هو أمامها. واين هو زوجها، وكان عليها أن تعرف عاجلاً أم آجلاً انه ليس الرجل الذي يكتفي بالحياة غير الطبيعية التي يعيشانها.

لم يكن هناك من تستطيع اللجوء إليه طلباً للنصح. كانت العمة ليزا تعتبر زواجهما طبيعياً جداً ولا تحلم أبداً بمناقشة مشاكلها الخاصة مع كريستين غولدستراند. .

كان أمام أماندا الوقت الطويل لتفكر خاصة وقد أرقدتها أياماً في الفراش نوبة حادة من الأنفلونزا. وهذا ترف لم ترحب به، لأن أفكارها ازدادت تشوشاً مع مرور الوقت. لا بد أن العمة ليزا اتصلت بواين تبلغه مرضها، لأنه راح يتصل كل مساء ليتفقد أحوالها، وتابع اتصاله حتى بعدما أذن لها الطبيب بمغادرة الفراش. . كان جهاز الهاتف قد وضع قرب سريرها بسبب هذه المكالمات الليلية ولكنهما لم يتكلما مرة أكثر من ثلاث دقائق. وكانت تساؤلات واين متحفظة بمقدار إجاباتها، ولكنها بعد كل مخابرة كانت تشعر بالوهن فتبكي، يمزقها شعور الشوق إلى رؤيته والخوف مما سيحدث.

قالت العمة ليزا بقلق حينما شاهدت أماندا تبكي في فراشها في إحدى الأمسيات.

ـ لا أراك بخير. اخلدي إلى النوم وإن كان الوقت نهاراً.

مسحت أماندا دموعها، وجادلتها، ولكن العمة أصرت عليها حتى تستريح ساعة في الصباح وأخرى بعد الظهر.

قالت أماندا مترددة بعدما استردت رباطة جأشها:

ـ عمتي ليزا. . أخبريني. . ما هو الحب؟

نظرت إليها العمة باستغراب، ثم جلست على السرير وأمسكت بيدي أماندا:

ـ الحب عزيزتي، يعني الشوق إلى أن تكوني مع الشخص الذي

تهتمين بأمره، والرغبة في إسعاده وإرضائه. وهو يعني كذلك أن تفخري بالطريقة التي يسير ويتكلم فيها.. وفوق هذا كله هو الرغبة في منحه ذاتك. هل اكتشفت عزيزتي أنك تحبين واين بهذه الطريقة؟

سحبت نفساً متكسراً:

ـ لا أدري.. أظن هذا.. أوه، عمتي ليزا، أنا مرتبكة جداً!

ـ فلأطرح عليك هذا السؤال: أما زلت تفكرين في جوناس بارسلي؟

ـ لا!

أدهشتها حدة ردها. أضافت: عندما أفكر الآن في الماضي، أجد الكثير من الثغرات في شخصيته، كنت عمياء البصيرة بحيث لم أرها.

قالت ليزا بلطف:

ـ لدينا جميعنا ثغرات في شخصياتنا.

قالت أماندا بسرعة: «لا، إلا واين».

وتورد وجهها لأنها أدركت ما قالت. تابعت: «لا مجال للمقارنة بين جو وبين واين.. واين قوي يمكن الاعتماد عليه.. قد يكون قاسياً حيناً ولطيفاً حيناً آخر ولكنه لا يخذل أبداً من يحتاج إليه».

سألت العمة بهدوء: «وأنت.. بحاجة إليه؟»

نظرت أماندا إليها بجمود حتى استوعبت كلماتها الهادئة في عقلها المضطرب.. بعد ذلك تحرك نوع جديد غريب من الإثارة الدافئة في أعماقها، دفع نوراً غريباً إلى عينيها، اللتين كانتا منذ لحظات متعبتين لا حياة فيهما.

ـ أجل.. أحتاج إليه.. آه! عمتي ليزا.. كنت بلهاء لأنني لم أدرك ما كان يحدث لي! كيف لي أن أكون عمياء؟

اشتعلت ابتسامة في عيني العجوز:

ـ ربما كنت مشغولة بالتحكم بحياتك بعقلك لا بقلبك.

كانت الحقيقة في هذا الظلام لطمة مذهلة. لماذا لم تفكر في هذا من قبل؟ كانت مشغولة بمناقشة ماهية مشاعرها، بحيث لم تمنح نفسها فرصة

لتشعر بشيء آخر.. أرادت أن يأتي الحب إليها بدل أن تسعى إلى ملاقاته في منتصف الطريق.

الحب! أجل.. هذا هو الحب! مع جو أحبت الحب.. ظنت أن العاطفة وجو سيوفرانه لها.. لكن حين توسل إليها من أجل علاقة حميمة غير شرعية.. رفضته وخاب أملها. الآن، وقد عرفت أنها تحب واين، باتت لا تشعر بالرعب من فكرة وهب نفسها له.. إنها تريد لمسته وعناقه، تريد أن تكون زوجته وأن تحمل أولاده.

بعدما تمنت لها العمة ليلة سعيدة، استلقت أماندا تفكر بغبائها.. تشعر الآن بأنها أحبت واين منذ البداية تقريباً.. ولولا افتتانها بجو لأدركت ما كان يصيبها.. ولفهمت لماذا كانت على استعداد دائم للسماح لواين بأن يدير حياتها ويسيطر على أفكارها.. الشيء الوحيد الذي أفسد عليها أفكارها السعيدة في تلك اللحظات، كان السبب الذي جعل شغل واين الشاغل هو الوقوف بينها وبين جو.. أكان ذلك فقط لينقذها من الدخول في زواج سينتهي بكارثة؟ أم لأنه يهتم بها حقاً؟ لقد قال لها مرة إنها المرأة الوحيدة التي فكر في الزواج بها. ولكنه لم يقل لها إنه يحبها.

لقد قالت العمة ليزا يوماً إن الحب يشعل الحب. إن كان حبها لواين قوياً بما فيه الكفاية، فلا بد أن يشعل شرارة الحب في قلبه.. ما من أحد يقدر على البقاء حصيناً لمدة أمام موجة عاتية من الحب.. حتى واين هاوسلي..

عاد واين إلى المزرعة، فاستقبلته بمشاعر مختلطة.. لقد حدث تسرب في السد استدعى ذهابه بعد وقت قصير من وصوله. انقلبت فرصة أماندا برؤيته ارتباكاً لأنه لم يكد يعترف بوجودها في عجالته لتغيير ملابسه وارتداء ما يناسب للخوض في الماء الموحل.. عاد إلى المنزل مجدداً، متأخراً على العشاء ذلك المساء، فتذكرت العمة ليزا التي تحب أن يتم كل شيء في وقته المحدد. بعدها خلد إلى مكتبته، نكد المزاج بشكل مخيف.

لا يسير شيء كما خططت له أماندا. أخيراً صعدت إلى غرفتها كئيبة تعسة.. بعد وقت على استحمامها واستعدادها للنوم سمعت وقع قدميه البطيء يمر ببابها قبل أن يدخل غرفته.. أحست للمرة الأولى منذ عرفته أنه متعب فتلوى قلبها شفقة عليه.

كانت قلقة متوترة وهي تتقدم إلى النافذة.. الجو عابق بأريج الزهور ولكنه جامد بعد حلول الظلام فوق «كارو» وكأن عباءة تخفي جماله عن نظراتها.

ـ يجب ألا تقفي أمام نافذة مفتوحة في ليلة باردة كهذه.

أجفلها صوت واين الذي جاءها من ورائها مباشرة. اشتمت رائحة عطر حلاقته وهو يلامسها ليقفل النافذة، وعرفت حتى بدون أن تلتفت أن شعره رطب بفعل الحمام.. ولم تكن قادرة على الحركة وكل عصب فيها يرتجف بسبب قربه منها فيما بات الشوق اليائس للإحساس بذراعيه لا يطاق.

تمتم وهو يضع يديه على كتفيها: أماندا.

بدأت ترتعش فتركها بسرعة.

ـ هل تنفرين مني إلى هذه الدرجة؟

أبقت ظهرها نحوه، تكبح رغبتها في الاستناد إليه: لا أشعر بالنفور منك.

ـ ولكنني لا أجذبك.. كحبيب.

تحرك نبض مؤلم في وسط عنقها.

ـ لم أقل هذا.

ـ إنما هذا ما تحاولين الإيحاء به.

قالت يائسة: «واين، أنت تنسب إليّ كلاماً لم أقله»

ـ كيف لي أن أفسر تصرفاتك بغير هذا إذن؟

أمسكها بكتفيها وأدارها بقسوة: أجيبيني!

نظرت إليه، بشفتين مرتعشتين وبعينين مغرورقتين بمشاعرها

المكبوتة.. اشتعلت عيناه ناراً وهو يتأملها.. ارتجف نبض في عنقها، وانتظرت مقطوعة الأنفاس، تتمنى بلا خجل أن يضمها بين ذراعيه.

صاح: «يا إلهي أماندا!.. أريدك».

وسحقها على جسده بقوة كادت تزهق أنفاسها، فوثب قلبها بين جنباتها، تجاوباً معه.

ـ لا تعرفين أبداً ما كنت أشعر به وأنت قربي وأنا غير قادر على ضمك بين ذراعي.

تنهدت: «واين..»

دست ذراعيها حول عنقه وشدت نفسها إليه.

صاح صيحة انتصار وأسرع يضمها بجنون.. أصبحت أنفاسها أقل عمقاً وأسرع وقعاً خاصة عندما رفعها بين ذراعيه وحملها إلى السرير.. وهناك فقدت القدرة على التفكير في أي شيء بل لم ترد أن تفكر.

فيما بعد وفيما هو غارق قربها في النوم، أدركت بخيبة أمل مؤلمة، أنه لم يتفوه بكلمة حب أو اهتمام بل كان تصرفه تصرف شوق مندفع لم يترك المجال لأي شيء آخر.

تحركت تحت ثقل ذراعه التي لم تعتد عليها، اشتدت ذراعه حتى وهو نائم حولها وشدها إليه. قررت أنه سيفيدها أكثر لو تعاملت معه بحذر بعض الوقت.. وحتى يظهر دلائل الاهتمام عليها كتم حبها في قلبها، لأنها لن تطيق سخريته.

استيقظت أماندا في الصباح التالي فوجدت أنها لوحدها.. تثاءبت، تمطت بكسل، ثم تكورت تحت الأغطية مرة أخرى قبل أن تعود أفكارها إلى واين.. أين هو؟ ماذا يفعل؟ هل ستراه قبل الفطور؟

كانت ملهوفة للانضمام إليه، استحمت وغيرت ملابسها ثم راحت تتبرج بروية، وتمشط شعرها الذهبي الذي أصبح أمواجاً ناعمة حول وجهها.. كان قلبها يغني في ذلك الصباح البارد وكان الجليد متكدساً أبيض فوق الوادي منتظراً الشمس لتذيبه.

www.elromancia.com

سألت العمة ليزا حالما انضمت إليها للفطور: أين واين؟

ـ تناول الفطور باكراً وخرج ليشرف على إصلاح السد.. أظنه لن يعود قبل المساء.

كانت العمة ليزا على حق إذ لم يرجع واين للغداء، بل وصل قبل موعد العشاء بوقت قصير حيث صعد فوراً ليستحم ويغير ثيابه.. وعندما نزل أخيراً إلى غرفة الطعام كان كالعادة بارداً متحفظاً.. قاومت أماندا المرتبكة والمتألمة الدموع التي هددت بالانهمار فهو يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث بينهما، وعادا إلى حيث كانا قبل رحيله إلى المدينة.

اعتذر أخيراً قائلاً: «حملت معي أوراقاً عليّ دراستها». وسرعان ما اختفى إلى مكتبه.

قالت أماندا يائسة: «عمتي ليزا؟» واغرورقت عيناها بدموع لم تستطع كبحها.. فقالت العمة متعاطفة:

ـ لا يفكر الرجال أحياناً يا ابنتي. إنهم يغرقون أنفسهم بأعمالهم، ولا يفكرون في أحد. لا تدعي هذا يكدرك.. سيأتي إليك فيما بعد وسيكون كل شيء على ما يرام.

كانت العمة ليزا على حق. ففي وقت لاحق من ذلك المساء وفيما أماندا مستلقية في فراشها تعذبها أفكارها وتحرمها النوم، انفتح باب غرفة نومها، ووقف واين حيث انعكست صورته على الضوء المنبعث من الممر.. تردد عندما رأى مصباح سريرها منطفئاً ظناً منه أنها نائمة، لكنها جلست بسرعة وأضاءت المصباح.

سألها وهو يقفل وراءه، ويضع صينية قرب السرير:

ـ هل أيقظتك؟ ظننتك ترغبين في شيء من الكاكاو.

أكدت له بسرعة: «لم أكن نائمة».

جلس قربها فبدا متعباً، سرعان ما كبحت رغبة في إزاحة خطوط التعب الظاهرة قرب فمه بأصابعها، فهل ستتمكن من إخفاء شعلة الحب المشتعلة في قلبها عن هذا الرجل؟ وتسارعت نبضات قلبها وهي تأخذ

كوب الكاكاو منه، ترتشفه وهي تراقبه من تحت أهدابها.

أخيراً قال وهو ينظر إلى نقطة فوق رأسها في مكان ما:

ـ أماندا.. ما حدث ليلة أمس..

لامست ابتسامة حنون شفتيها ولكنها كبحتها فوراً ووضعت الكوب الفارغ على الصينية لتعطيه اهتمامها الكامل: نعم واين؟

التقى بنظرتها الجائعة أخيراً:

ـ سامحيني إن كنت قاسياً معك. لم أكن أنوي إخافتك.

همست: «لم تخفني».

ـ هل أفهم من هذا أنك في المستقبل ستكونين زوجتي بكل ما في الكلمة من معنى؟

مرت عيناه عليها كمداعبة خفيفة بطيئة، وتسللت رعشة سعادة إلى عروقها.

ـ أجل.

كان صوتها مجرد خيط رفيع، أما وجنتاها فتوردتا بشدة تحت نظرته المحبة.

ـ أماندا.. أنت صغيرة حتى لتكادي تكونين طفلة.. ولكنك جميلة جداً ومرغوبة جداً.

ضمها بوحشية بين ذراعيه.. فانفرجت شفتاها وهي تمد ذراعيها حول عنقه. شعرت بضربات قلبه الثقيلة على صدرها. مدت يديها مسرورة إلى ياقة قميصه الحريري مستجيبة له.

ظل كوب الكاكاو الذي جلبه لنفسه على حاله مفسحاً المجال لأمور أهم.

علقت كل لحظة قضتها مع واين في ذلك الأسبوع في ذهنها. كان زوجاً متطلباً وحبيباً ومتشوقاً.. وكان وجودها كله له، لابتسامته، مهما كانت ساخرة، وللمسته. وأسر قلبها بعدما عرفها على مرتفعات الحب وأعماقه.

الحب! الشيء الوحيد الذي كان يسيء إلى سعادتها هو عدم معرفتها ما إذا كان واين يحبها، أو يستخدمها وسيلة لإرضاء حاجاته.

مع إطلالة الربيع، بدأت أماندا تشك في أن هناك حياة جديدة تكبر في أحشائها، وهذا ما أثبته طبيب العائلة الذي استدعوه بعدما فقدت وعيها فجأة. كان واين بعيداً ذلك الوقت ولكنه بدا سعيداً عندما واجهته بالخبر.

قال لها باهتمام غير عادي وهو يحملها إلى السرير:

ـ يجب أن تعتني بنفسك من الآن وصاعداً.

سألت متوسلة: «واين.. أنت سعيد لهذا، ألست كذلك؟ أنت لا تقول هذا لترضيني فقط؟»

كانت نظرته موبخة: «وهل أقول شيئاً لا أعنيه؟»

ـ لا.. ولكن...

قاطعها بسرعة:

ـ أريد هذا الطفل كثيراً أماندا. ولكنني أريد منك أن تعتني بنفسك.

ـ واين، توقف عن اعتباري طفلة.

ـ لا أعتبرك طفلة خاصة وأنا أضمك بين ذراعي أو وأنا أشعر بقلبك يخفق بسرعة تحت يديّ.

تأوهت: «أوه.. واين..»

اشتدت ذراعاها حول عنقه، ولكنه تراجع ونظرة قلق في أعماق عينيه.

ـ عزيزتي، يجب أن نكون حذرين.

صاحت: «ضمني إليك. أعدك بألا أنكسر.. لا تبتعد عني الآن خاصة أنا أحمل طفلك».

بدا مذهولاً للحظات:

ـ أبتعد عنك؟

خرجت صيحة من أعماقه قبل أن يشدها بين ذراعيه:

ـ يا إلهي أماندا.. لن أستطيع هذا.. تعرفين أنني أريدك الآن أكثر من

أي شيء في العالم.

حاولت أن تتكلم ولكنه أصمتها بفعالية، وانجرفت مخاوفها وشكوكها بعيداً.

***

www.elromancia.com
مـرمـوريـة

٩ ـ رماد الحلم

أصبح إعادة تأثيث جناح الأطفال عملية رئيسية. يجب شراء الطلاء وورق الجدران إضافة إلى الستائر والسجاد الجديد، لتحل مكان القديم. .

كانت أماندا تتمسك بكل لحظة سعادة بكلتا يديها، وكأنها تخاف أن تختفي في أية لحظة. . ولكنها كانت تشعر بالحزن والألم لأنها لا تعرف ما في قلب واين خاصة وهي غير قادرة على الوصول إليه في أوقات كان يرفع فيها ذلك الجدار البارد غير القابل للاختراق بينهما. . كان فشلها في فهمه يجعلها ترمي نفسها إلى أعماق اليأس.

أعطاها واين رسالة في إحدى الأمسيات وهما يرتشفان القهوة في غرفة الجلوس، قائلاً:

ـ كانت بين الرسائل التي وصلت بعد الظهر ولكنني لم أرها إلا الآن.

لم يكن الخط على المغلف مألوفاً لأماندا، وفتحت المغلف، فوجدت ورقة وحيدة فيه. . تحولت نظرتها الفضولية رأساً إلى أسفل الصفحة، حيث تسمرت. . إنها من جو.

قرأت وهي تحس بخوف من واين الذي استند إلى المدفأة وعيناه السوداوان تستريحان عليها:

«أماندا. . إنه لغباء منك أن تتزوجي واين هاوسلي. . ألا تعرفين أنه تزوجك فقط ليكون له وريث؟ إن لم تصدقيني، اسأليه عن الشرط في وصية أبيه التي تشترط عليه إنجاب وريث قبل بلوغه سن الأربعين وإلا خسر إرثه كله».

«ليس في نيتي إزعاجك ولكنني أحسست أن من واجبي إطلاعك على الحقيقة. المخلص دائماً: جو».

شحب وجه أماندا شحوباً شديداً فأعادت قراءة الرسالة مجدداً قبل أن تمزقها إرباً بأصابع مرتعشة. أحست ضجيجاً في أذنيها جعلها تحس بأن رأسها يكاد ينفجر، فكل كلمة في تلك الرسالة المجرمة تمزق قلبها. . أيقول الحقيقة؟ أهكذا هي لواين. . وسيلة لإنجاب وريث يحتاج إليه بيأس ليحافظ على إرثه؟

سألها ببرود ووجهه مشدود وغاضب:

ـ أكانت الرسالة من جوناس؟

هزت رأسها عاجزة عن الكلام.

تابع واين بفظاظة: «ماذا يريد؟»

نهضت على ساقين مرتعشتين، لترمي قطع الرسالة الممزقة في النار، وقالت كاذبة: «يتمنى لنا السعادة. . في زواجنا».

سحبت نفساً عميقاً لتهدىء روعها ولتتجنب عينيه بالتركيز على النار التي حولت الرسالة إلى رماد. . رماد! إنه الشيء الوحيد الباقي لها من حلمها بأن يحبها واين. آه! ما أشدّ غباءها وسذاجتها.

قال واين ساخراً:

ـ لقد تأخر كثيراً في تقديم التهنئة فقد مضت خمسة أشهر.

كررت: «نعم تأخر! فخمسة أشهر وقت غير قصير أبداً!»

تصاعدت الهستيريا في نفسها، ستنجب لواين طفلاً وسيحظى بإرثه.

تمكنت من القول بصعوبة: أنا. . متعبة.

ارتدت عن الرجل الصامت قرب النار:

ـ سآوي إلى فراشي.

لم يحاول إيقافها، فهرعت إلى الأعلى لا تلوي على شيء. لم تدر كيف تمكنت من خلع ملابسها قبل أن تتسلل إلى الفراش، حيث ظلت فيه غارقة في بؤسها المؤلم.

www.elromancia.com

لم تدرك كم من الوقت ظلت على تلك الحال ولكن الدموع كانت قد جفت على خديها، والفراغ في داخلها أصبح ثقيلاً كالرصاص.

لقد اتضح لها كل شيء. تزوجها واين من أجل إنجاب وريث يمكنه من الحصول على إرثه، أما الحب فلا علاقة له أبداً بزواجه بها. كل ما يحتاجه هو جاذبية جسدية تمكنه من تحقيق هدفه.. وقد تحقق هذا الهدف الآن لأنها على وشك إنجاب وريثه!.

آه! يا الله.. ما أشد غباءها! نعم هي غبية لأنها سلمت قلبها وروحها، لرجل مثل واين هاوسلي الذي استغلها بلا حياء لتنفيذ شروط وصية أبيه، والآن بعدما أتم مهمته، لن يهتم بها. والواقع أنه أظهر بوضوح عدم اهتمامه بها. لا شك أنه حريص على عدم إظهار مشاعره الحقيقية حتى ولادة الطفل، لكن ما إن يصبح الولد موجوداً حتى ينتهي كل شيء.. إنها نهاية حلم غبي.

لم يأت واين إليها تلك الليلة، بل نام في غرفة ملابسه، كما كان يفعل في بداية زواجهما. وقد دلّ فعله ذاك بوضوح على شرخ كبير في علاقتهما.

إنه لمن غير المجدي أن تقنع نفسها بأنها تكرهه فهذا أبعد ما يكون عن مشاعرها. بعد ليلة جافاها فيها النوم أدركت أنها لن تستطيع أن تتركه، فعدم رؤيته مرة ثانية سيسبب لها ألماً مضاعفاً. لقد أصبحت الحياة دائرة قاسية.. وليس هناك مجال للخلاص سوى بالاستمرار في الدوران على أمل يائس بالوصول أخيراً إلى توافق مع ما يخبئه لها المستقبل.

قالت العمة ليزا في إحدى الأمسيات:

ـ لا أريد استعجالك أماندا، إنما عليك أن تفكري في تجهيز جناح الأطفال قبل أن تصبحي غير قادرة على الإشراف عليه شخصياً. لم يبق أمامك إلا سبعة أشهر.

رفع واين نظره من عن صحيفته:

ـ ربما عليك الذهاب إلى «بورث اليزابيت».. لأن «بوسمانسفيلي»

خالية من أشياء كهذه.

عضت أماندا شفتها مفكرة:

ـ أجل.. أعتقد هذا.

في الأيام القليلة الماضية، اعترفا بوجود بعضهما بعضاً بأدب بارد، حمل إليها ألماً لم ينفك عن دق عنقها.

سألها:

ـ ألا تروق لك الفكرة؟

ـ بإمكاننا السفر جواً إلى هناك والعودة في يوم واحد.

ـ لن تسافري جواً في هذه الأيام.. سأطلب من توماس أن يقلك بالسيارة.

أحست بخيبة أمل تجتاحها: «توماس؟ ظننت...»

قال غير مكترث:

ـ أخشى أن من المستحيل عليّ الابتعاد عن المزرعة في الوقت الحاضر.

نظرت أماندا إلى العمة ليزا: «هكذا إذن..».

لكن المرأة العجوز هزت كتفيها، مشيرة إلى أنها لا تفهم سبب تصرف واين الغريب، فالعذر الذي اتخذه ضعيف لأن فرانس غولدستراند قادر على تولي أمور المزرعة بدونه.

طوى واين الصحيفة، ووقف يقول:

ـ سأتدبر أمر الرحلة في الصباح.. سيكون جناحي في الفندق جاهزاً لك لتقيمي فيه.

أمسكت بذراعه وهو يمر بها:

ـ واين.. ألن تغير رأيك فترافقني أنت؟

رفع حاجبيه ساخراً ثم شدّ ذراعه بحذر منها:

ـ يمكنني الوثوق بك الآن أماندا!

وترك الغرفة.

أطلقت العمة ليزا تنهيدة سخط.

ـ لا تهتمي عزيزتي، الرجال مخلوقات غريبة الأطوار أحياناً.

لم تكن أماندا سعيدة بهذا الوضع إطلاقاً، لكن تصرف واين الشاذ لم يفاجئها.. لقد فقد الاهتمام بها بعدما حملت طفله. وربما لم يصدّق ما قاله عن محتويات رسالة جو. أيظن أنها تخطط لعلاقة جديدة مع جو.. لكن ألا يهتم إن كان الأمر كذلك؟

اعتذرت العمة ليزا أخيراً وصعدت إلى غرفتها، أما أماندا فظلت للحظات طويلة تحدق إلى جمرات النار الميتة.. لقد دمر جو بكل تأكيد حياتها بمعلوماته التي زعم أنها صادقة النية، لأنها معلومات حقود قصد منها إحزانها.

عندما كانت متوجهة إلى غرفتها، رأت الضوء من تحت باب المكتبة، وعرفت أنها لن تستريح قبل أن تكلم واين.

نادى من الداخل رداً على قرعها الباب: أدخل.

خطت إلى الداخل مترددة وأقفلت الباب خلفها، ثم اتكأت عليه ليسندها. كان واين جالساً وراء طاولته ونظرته ترسل البرودة إلى ظهرها: ما الأمر.. أماندا؟

هدأت روعها ثم سحبت نفساً عميقاً وقالت:

ـ واين.. أتظن أنني أفكر في رؤية جو مرة أخرى؟

ضاقت عيناه قليلاً، لكن تعبير وجهه ظلّ غامضاً:

ـ عزيزتي أماندا.. إذا كنت تفكرين في شيء كهذا فلا سبيل إلى ردعك.

ضحكت ضحكة خالية من المرح: «يثير قولك فيّ الضحك خاصة بعدما فعلته لتبعدنا عن بعضنا بعضاً».

ـ كان ذلك قبل ثمانية أشهر.

ـ ماذا أفهم من كلامك؟

ـ افهميه بالطريقة التي تريدين.

أظهر دلائل على أن الحديث يضجره:

ـ اذهبي إلى النوم باكراً.. أمامك سفر طويل غداً.

بعد انصرافها من مكتبه توجهت إلى غرفتها والخوف يتصاعد إلى قلبها بشكل لم تعد تستطيع إنكاره.. لقد انتهى الأمر، وكانت رسالة جو هي الكفيلة بذلك فهي دفعت واين إلى الشك فيها وبددت آمالها باكتساب حب الرجل الوحيد الذي أصبح يهمها. لقد وثقت بواين، وخذلها. وهذا ما لم تفكر أنه قادر عليه. الآن ليس أمامها ما تحيا من أجله عدا الطفل.

تأوهت مع تصاعد الألم في قلبها.. رمت جسمها على الفراش جافة العينين ثم دفنت وجهها بين ذراعيها، وعذاب الفشل يعذبها كثيراً. لن يطلب منها واين أبداً الرحيل.. الزواج بالنسبة له قيد، ولكنه أوضح لها أن عليها ألا تتوقع شيئاً منه أكثر من الاهتمام والعاطفة المحرقة.

فكرت وهي تدخل إلى الفراش أن كل شيء غريب.. لقد ظنت أنها لن تتغلب على خسارتها لجو، لكن هذا تم بلا معاناة كثيرة. أما خسارة واين فمسألة مختلفة كل الاختلاف، فمجرد التفكير فيها يجعلها تتمنى الموت.

كانت مستيقظة عندما دخل واين أخيراً إلى غرفته.. سمعته يتحرك في الغرفة قبل أن يستحم ولكنها عرفت أنه لن يأتي إليها. أفسح الإذلال والغضب الطريق لإدراك عمق مشاعرها تجاهه فهي مهما فعل بها بحاجة إليه.. وستبقى بحاجة إليه دائماً.

استيقظت في الصباح التالي فوجدت مذكرة صغيرة من واين على صينية الطعام. فتحتها بيدين مرتعشتين:

«أنا آسف.. لم أستطع الانتظار حتى توديعك هذا الصباح. ولكنني سأتصل بك مساء. قمت بكافة الترتيبات لتبقي في المدينة.. اعتني بنفسك.. واين».

قرأتها مجدداً قبل أن تسحقها بيدها لأنها صممت على عدم إظهار تأثرها بتصرفاته.. إذا كان قادراً على أن يكون بارداً، فهي قادرة أيضاً. لن

تدعه يعرف مدى حبها له، ومدى تأثير تصرفه القاسي فيها.

كانت الرحلة البرية إلى بورث اليزابيت متعبة ولكنهما وصلا قبل الغداء إلى الفندق. انتقلت أماندا إلى جناح واين ذي الأثاث الرائع والستائر الذهبية. عندما حاولت التخلص من بعض الخدم، بدا على المدير الامتعاض، وقال لها:

- كانت تعليمات السيد هاوسلي محددة سيدة هاوسلي.. لا نريد أن يزعجك شيء أبداً. اختار السيد هاوسلي الخدم الذين سيعتنون بك، لذا سينزعجون إن لم تمنحيهم الفرصة سيدة هاوسلي.

اضطرت أمام هذا المنطق إلى القبول. قُدمت لها وجباتها في جناحها، فاستغنت بذلك عن الاختلاط بسائر النزلاء.. بدا أن كل شيء مدبر، فتركها ذلك حرة للقيام بالتبضع الذي جاءت إلى هنا من أجله..

عندما أكملت تبضعها بعد ظهر ذلك اليوم، جلست بعد العشاء إلى منضدة الكتابة الرخامية، ووضعت لائحة بما عليها شراؤه أيضاً. فجأة غمرتها الوحدة.. وفكرت في اليوم الذي دخلت فيه إلى جناح واين، للمرة الأولى عندما دعاها للعشاء. كانت يومذاك شديدة الاضطراب، تغمرها رهبة ما حولها، وقوة شخصية مضيفها.. يومذاك كانت تظن أنها واقعة في حب جو ولكنها تعرف الآن ما معنى الحب العميق المشبوب.. وتعرف كذلك ألم القلب بسبب عدم قدرتها على التعبير عن ذلك الحب خوفاً من الرفض.. صحيح أنها ستنجب طفل واين، لكن ما كان عليها الوقوع في حبه.

عرفت وسط أساها أن عليها المقاومة فحاولت متابعة كتابة لائحة مشترياتها، لكن الشوق إلى واين كان أكثر من أن تحتمله. أخيراً أغمضت عينيها لتريح ألمهما، لذا عندما رن جرس الهاتف قربها قفزت مذعورة.

قال موظف الاستقبال: «في الباب سيد بريد رؤيتك سيدة هاوسلي.. يقول إنه صديق قديم لك».

فتشت أماندا في عقلها عن صديق محتمل، ولكنها لم تتمكن من

التفكير في غير براد ليفر، فسألت:

- أهو براد ليفر؟

- سأسأله سيدة هاوسلي.

صمت الهاتف ثم عاد صوت الموظف:

- هذا صحيح سيدة هاوسلي.. هل أرسله؟

- أجل.. شكراً لك.

كيف عرف براد أنها في بورث اليزابيت؟ أيكون واين بسبب حاجتها إلى صحبة أخبره بأنها هنا ليزورها أو تزورها سارة؟ لا واين لن يفكر بهذه الطريقة كما أنها قادرة على القيام بالاتصال الذي تريد.

قطع قرع الباب عليها أفكارها.. تقدمت لترد، لكنها لم تكن مستعدة لرؤية الشخص الواقف بالباب.. إنه جو، وهو وسيم كالعادة ولكن في قسماته الطفولية ملامح ضعف لم يسبق أن لاحظتها.

- مرحباً يا حلوتي! أدهشتك رؤيتي؟

وقفت أماندا وكأنها تحولت إلى حجر.

- جو.. ولكنني ظننت..

ضحك: «أنني براد.. أجل لقد استغللت سؤالك لأنني كنت أعرف أنك قد لا ترغبين في رؤيتي».

عادت أماندا إلى الحياة.. فنظرت بقلق إلى الباب الذي أقفله وراءه، وتمنت لو احتاطت قبل السماح لموظف الاستقبال بإرسال هذا الزائر غير المرغوب فيه إليها وأذهلتها كذلك البرودة التي تشعر بها تجاهه. لا جدوى من إنكار تخوفها من رؤية جو مرة أخرى.. لكنها الآن بعدما رأته وجهاً لوجه لم تشعر بأي أثر للعاطفة أو الندم على انقطاع عرى علاقتهما. لقد أصبح جو أكثر من غريب.. إنه بالنسبة إليها شخص غير مهم أبداً.

قالت ببرود: «ليس بيننا ما يقال، فماذا تريد؟»

- أريد محادثتك ماندي.. وما غير هذا؟

ابتسم ساخراً وهو يجيل نظره فيها:

- عظيم.. يجب أن أعترف أنك أحسنت صنيعاً.. لقد اصطدت سمكة مثل واين هاوسلي وهو ما أسميه صيداً موفقاً.

شعرت بالسخط لأنه يظنها تزوجت واين من أجل ماله، ولكنها تمكنت من الإمساك بنفسها بشدة:

- لماذا جئت جو؟

ارتد إليها مظهراً صدقاً لم يقنعها:

- جئت لأنني اشتقت إليك وإلى الأيام الماضية.. كنا على علاقة وطيدة مرة.

- كيف عرفت أنني في بورث اليزابيت هذا المساء؟

- واين هاوسلي هو خبر بحد ذاته، ولأنك زوجته تحظين بالمعاملة ذاتها، وتعرفين كيف تتناقل الأخبار.

طافت نظرته فيها متأملاً وكأنه يقومها. نظر إلى الفستان الصوفي الثمين الذي يخفي بنجاح الانتفاخ البسيط في بطنها وإلى البروش الألماسي الذي أهداها إياه واين يوم زواجهما.

ظلت في أثناء تفرسه فيها جامدة. لكن، حين التقت عيناها بعينيه وجدت فيهما رغبة غير مستترة فتشنجت احتقاراً.

- أتعرف زوجتك أنك هنا؟

- .. ماذا قلت؟

أحست بالرضى لأنها رأت ملامحه تضطرب. كررت بهدوء:

- زوجتك جو. أنا متأكدة أنها لن تحب فكرة..

- لكنني لست متزوجاً!

كان الصمت الذي ران مشبعاً بمشاعر متضاربة.. جاء دور أماندا في التحديق إليه بارتباك:

- أنا.. لا أظنني أفهم.

نظر إليها بثقة متجددة:

- ولا أنا حلوتي.. ألهذا تزوجت واين؟ لأنك ظننتني تزوجت؟

www.elromancia.com

لم تتمكن من الرد بتعقل لأن عقلها كان في عذاب شديد.. لماذا كذب واين عليها؟ ألم يكفه دليل خيانة جو مع امرأة أخرى؟

أصبح جو إلى جانبها الآن ولكنها نجحت في تجنب يديه:

- ماندي يا حلوتي.. لا تدركين أبداً كم اشتقت إليك.

- أنت لا تتوقع مني أن أصدق هذا. أليس كذلك؟ ما دمت غير متزوج فماذا عن المرأة السوداء الشعر التي أقامت معك في شقة على الشاطىء والتي دعت نفسها السيدة بارسلي؟

أجفل: «ومن قال لك!»

- أستعير كلماتك جو: الأخبار تتناقل.

- ماندي.. لا تعني لي شيئاً.. كانت..

- لا يهمني ما تقول.

ضحك وهو يتقدم نحوها بتصميم:

- لا تكذبي ماندي.. اعترفي أنك مهتمة كثيراً.. أنت لا تحبين واين، بل تحبينني أنا. لا تنكري هذا.

كانت وقاحته مضحكة تقريباً. إنه واثق من سحره الفتان ويظنها على وشك الوقوع بين ذراعيه.

- جو.. لست حرة.. أنا متزوجة بواين وسأبقى زوجته.

- هذا لا يعني ألا تقتنصي السعادة بين الحين والآخر.

شعرت بالذعر: «لست واثقة من أنني أفهمك».

ضحك وهي تتجنبه:

- آه! هيا الآن.. لست تلك البريئة الصغيرة التي كنتها.. كوني لطيفة معي ماندي.. دعيني أبقى معك الليلة.

صاحت برعب، وهي تراه للمرة الأولى على حقيقته، رجل بلا عقل أو كرامة:

- لا شك أنك مجنون!

كانت لحظة شعرت فيها بالراحة لأن واين أنقذها منه، من هذا الرجل

البغيض الذي يلاحقها في الغرفة.

قطع جو المسافة الفاصلة بينهما بسرعة فاجأتها. اشتدت ذراعاه حولها، وهي تقاومه.

- أريدك ماندي.. طالما أردتك.

تمكنت بطريقة ما من تجنب شفتيه:

- اتركني!

- ماندي.. يجب أن أحصل عليك.

- لا!

أعطاها الغضب قوة إضافية مكنتها من تحرير يد واحدة، فصفعته صفعة شديدة على وجهه.. تركها على إثرها فوراً.

- من يراك يظنك ما زلت عذراء بسبب الطريقة التي تدافعين فيها عن نفسك.

وأخذ يتحسس خده الذي أخذ يحمر بسرعة. وصاحت غاضبة:

- حسناً أنا امرأة متزوجة الآن.. ولكن هذا لا يعني أنني قد أرغب في الذهاب إلى الفراش مع أي رجل.. فأنا على وشك أن أنجب طفلاً.. طفل واين! واعلم أنني سعيدة بزواجي وأنني غير راغبة في التفتيش عن السعادة في مكان آخر.

ضحك ضحكة شريرة، استرد على إثرها رباطة جأشه:

- طفل..؟ يا للروعة! لقد فعلها واين إذن!

انتفضت داخلياً وهي تقاوم للسيطرة على نفسها.

- أجل. لقد فعلها واين، على أي حال.. ولن يخسر إرثه.

رفع حاجبيه دهشة:

- إذن وصلتك رسالتي؟ ألم تمانعي لأنه تزوجك لهذا السبب؟

قالت كاذبة:

- لا.. لا أمانع. لا أدري ما الذي أملت به من تلك الرسالة، لكن اعلم أنها لم تهمني إطلاقاً. أحب واين حباً كبيراً يجعلني أتغلب على هذا

العائق.. هذا إن كان ما كتبته صحيحاً.

أشعل سيكارة بيدين مرتجفتين:

- إنه صحيح تماماً.

- وكيف عرفت بالأمر؟

- سمعت مرة...

وصمت، ثم ضحك:

- لا.. لن توقعيني بسهولة.. فلنقل فقط إنني سمعت ذكر الأمر مرة.. ماندي.. لقد أحببتك فعلاً..

- أنت لا تعرف معنى كلمة حب جو.. فالحب عندك ليس أكثر من إقامة علاقة غرامية مع النساء، ثم تركهن ما إن تتعب منهن.. أما الحب بالنسبة لي فعلاقة دائمة مع شخص واحد فقط. والآن أخرج من هنا، على ألا أراك ثانية!

- هوني عليك حلوتي.. سأرحل.. لكن إن غيرت رأيك يوماً..

قاطعته بشراسة: «لن أغيره.. وداعاً».

بعدما أقفلت الباب وراءه بالمفتاح، تركت نفسها تسترخي.. فلنحمد الله لأنه أتى، فهو يعرف الآن أن كل شيء انتهى بينهما.

رن جرس الهاتف فقطع عليها أفكارها، تجاوب كل عصب في جسمها مع الرنين.. لا بد أنه واين: آه.. واين.. واين.. لماذا فعلت هذا بي؟ لماذا دخلت إلى حياتي وحطمت قلبي؟

وقفت متعبة ورفعت السماعة. شعرت بهدوء غريب وهي تسمع صوته:

- هل وجدت كل شيء على ما يرام؟

- أجل.. شكراً لك.

- هل أتعبتك الرحلة؟

- أبداً.

بدا صوتها خالياً من الحياة، حتى لأذنيها، ولا بد أن واين أحس

www.elromancia.com

بهذا، فقال:

ـ يجب أن تعتني بنفسك أماندا.. لا ترهقي نفسك.

فكرت بالتأكيد أن عليها ألا تقوم بما يؤذي الطفل الذي يحتاج إليه يائساً.

ـ لن أفعل هذا واين.

ران صمت قصير، قبل أن يسأل:

ـ هل حدث ما كدرك.. أماندا؟

يا لهذا السؤال: «لا».

ـ ربما أنت متعبة؟

ـ أجل.

ـ إذن تصبحين على خير أماندا. نامي نوماً هنيئاً.

وأقفل الخط، ولكنها ظلت حاملة السماعة الميتة.. إنها تشبه زواجها.. أصبحت على شفير البكاء: آه واين.. لماذا تركتني أحبك؟ لماذا لم تقل لي الحقيقة بدل تركي أحلم بالمستحيل؟

لم يعد هناك لذة في رحلة التسوق هذه. ولكنها عادت فأدركت أن من الخطأ التفكير بهذه الطريقة.. فطفلها قادم إلى الحياة ولا يلام على ذلك لذا عليها أن تهيىء نفسها لقدومه. على أي حال فهو طفلها بمقدار ما هو طفل واين.

في الصباح، اتصلت بسارة قبل أن تغادر الفندق.

ـ أيمكنك التهرب من العمل وملاقاتي في فندق «غارلك» لتناول الغداء؟.

وافقت سارة بحماسة: «نعم.. أستطيع.. أليس واين معك؟».

رأت من النافذة توماس منتظراً قرب المرسيدس:

ـ لا.. سارة، يجب أن أسرع أراك لاحقاً.

هطل ذلك الصباح مطر خفيف رافقته ريح جنوبية جعلت التجول للتسوق أمراً غير مستساغ.. لكن أماندا معتادة على مثل هذا الطقس..

شعرت بالراحة لأنها تسير في شوارع مألوفة. لقد مرت أشهر منذ سارت في هذه الطرقات.. لم يطلب منها واين مرافقته في رحلاته الدائمة.. فهل خشي أن تلتقي بجو فتعرف منه الحقيقة؟

عذبتها هذه الفكرة لأنها تلمس جرحاً عميقاً في داخلها.

* * *

١٠ ـ صدى الربيع

ما إن حلت الساعة الثانية عشرة والنصف حتى أنهت آخر ما تريد شراءه. صرفت أماندا توماس وأمرته بالعودة إلى الفندق مع المشتريات لكن وجه توماس البني بدا ساخطاً وهو يجادل:

ـ سيدتي، لا تتوقعي مني تركك هنا وسط الشارع؟ سيدي لن. . .

ـ توماس أرجوك. عد إلى الفندق، سأتناول الغداء في البلدة ثم أعود بسيارة أجرة.

هز توماس رأسه بريبة: «حسناً. . لا أدري ما سيقول ماستر واين».

أكدت له: «لا حاجة للماستر واين أن يعرف. . لا تقلق كثيراً توماس، لن يصيبني مكروه».

اضطر توماس إلى الانطلاق بالسيارة أما أماندا فراحت تشق طريقها بسرعة إلى حيث ستلتقي سارة. وجدت طاولة بسهولة. . بعد وقت قصير وصلت سارة، فلفتت الانتباه إليها بصرخة الفرح التي أطلقتها عندما رأت صديقتها.

جلست على الكرسي قبالة أماندا:

ـ ماندي، حبيبتي ما أروع أن أراك. مع أنك تبدين غائرة العينين قليلاً. ألا يناسبك الحمل؟

ـ لا يتعلق الأمر بالحمل. . أنا في الواقع بخير. . أنا. .

عضت شفتها بتوتر وقاومت الدموع التي أثقلت جفنيها. . فنظرت إليها سارة بقلق:

ـ ما الأمر ماندي؟ لم أرك متوترة هكذا من قبل. هل أصابك ما كدّرك؟

ـ أجل. . أنا. . يجب أن أكلم أحداً، وإلا جننت.

وضعت سارة مرفقها على الطاولة ومالت إليها:

ـ تكلمي حبيبتي. . أنا أحسن الإصغاء ولكنني لا أحسن تقديم النصيحة.

صمتت أماندا لحظات تتساءل من أين تبدأ، وكيف تشرح التشوش الذي سارت إليه حياتها. لا يسهل الحديث عن هذا ولكن بسبب وجود أبيها في «كايب تاون» كانت سارة الشخص الوحيد الذي يمكنه الإصغاء إليها وتقديم النصيحة.

ـ ماذا تقولين إن قلت لك إن لدي أسباباً للشك في أن واين تزوجني فقط من أجل إنجاب وريث له؟

ـ لا تكوني سخيفة! واين يحبك.

ـ أشك في هذا كثيراً.

اشتدت حدة نظرة سارة:

ـ ومن الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟

شرحت أماندا لها باختصار، فأخبرتها برسالة جو التي تحتوي على المعلومات اللعينة، ثم زيارته لها في الأمسية السابقة، ولكنها لم تكشف لها عما كاد يقدم عليه.

سألت سارة وهي لا تصدق ما تسمع:

ـ لا تقولي إنك تصدقين جو؟ حقاً ماندي. . تذهلينني. طالما كنت صاحبة عقل راجح.

تدفقت الدموع من عيني أماندا:

ـ أنا مرتبكة كثيراً بحيث لا أعرف ما أصدق.

هزت صديقتها رأسها إشفاقاً.

ـ هذا ما أراه. . اسمعي ماندي. . هناك شيء واحد يمكنك القيام

يه.. وكان يجب أن تقومي به فور تلقيك الرسالة.. عودي إلى البيت وواجهي واين بهذه المعلومات، وأنا أراهن بحياتي أن في القصة التي زعمها جو كذباً كبيراً.

ـ آه! سارة، أتمنى لو أصدق هذا.

ـ ابتهجي حبيبتي. لم تحن نهاية العالم.

ضحكت سارة وهي تمد يدها لتضغط على يد أماندا.

ـ لا بد من وجود تفسير ما لتصرف واين. أراهن أن لا علاقة له بما قاله جو.

طلبتا الغداء، ولكن أماندا لم تستطع تناول شيء من الطعام أما سارة فالحال معها مختلف دائماً.. إنها في أسعد لحظاتها عندما تأكل، والغريب أن وزنها لا يزيد ولو غراماً واحداً.

قالت وهي تتناول طبقاً ثانياً من الحلوى:

ـ بالمناسبة أنا وبراد سنتزوج في تشرين الثاني. أتوقع أن تحضري أنت وواين حفل الزفاف.. ستصلك الدعوة قريباً.

صاحت أماندا بسرور، ناسية مشاكلها مؤقتاً:

ـ سارة.. ما أسعدني بأخبارك.

حينما افترقتا أخيراً، اضطرت أماندا أن تعد سارة باتباع نصيحتها في مواجهة واين.. فلا فائدة من ترك الأمور تسوء أكثر فأكثر.

استقلت أماندا الباص عائدة إلى الفندق، فاستمتعت بالمسيرة القصيرة من موقف الباص، وبرذاذ المطر المنعش البارد على وجهها الساخن.. عليها أن تفكر، ولكنها مرهقة فكرياً لذا عندما وصلت إلى جناحها لم تكن قد وجدت حلاً.

انتزعت قبعتها ومعطفها، ونفضت قطرات المطر عن شعرها.. ساعتئذ فقط، لاحظت الطيف الطويل ينهض من مقعد قرب النافذة.

ـ واين!

كان اسمه على شفتيها مزيجاً من البهجة واليأس. أجالت فكرها في

ما يبدو عليه من تعجرف وثقة بالنفس.. تمنت لو تستطيع أن تكرهه لما فعله بها، ولكن خفقان قلبها الشديد الثقيل سخر منها وكاد يدفعها جرياً إلى ذراعيه.

ـ ماذا تفعل هنا؟ ظننتك...

ـ قررت أن أحضرك بنفسي. لقد أرسلت توماس إلى المنزل حاملاً مشترياتك.. اجلسي.. تبدين مرهقة.

ـ لا أريد أن...

قال بعناد وهو يدفعها بلطف إلى المقعد خلفها:

ـ افعلي ما قلته لك! لقد طلبت الشاي.. وها قد وصل.

وضعت صينية الشاي على طاولة صغيرة بينهما. صب واين الشاي ولم يحاول أي منهما الكلام حتى نجح السائل الساخن في تهدئة ارتعاشة يديها.

ـ كانت هذه المهمة مرهقة كثيراً لك أماندا.

ـ آه! بالله عليك! دعك من القلق!

وقفت متوترة، وأدارت ظهرها له لتتهرب من نظرته المركزة.. قال:

ـ من حق الزوج أن يقلق على زوجته التي تحمل طفله.

كانت في قبضة تعاسة مبرحة كادت تنهار تحت وطأتها.. وقالت في جهد:

ـ كان جو هنا ليلة أمس.

ـ هكذا إذن.

ارتدت ساخطة لتواجهه واحمرار الغضب يلطخ وجنتيها:

ـ أهذا كل ما عندك؟ ألا تريد أن تعرف سبب مجيئه وما كان يريده؟

ران على واين هدوء مخيف، وهو يضع فنجان الشاي الخزفي الرائع على الصينية، ثم وقف فأصبحت في موقف ضعف، لأنها اضطرت إلى رفع رأسها لتنظر إليه.

ـ يعرف جو أنك هنا، لأنني قمت بالتلميح بذلك فكان أن التقط

الطعم وهذا ما كنت أتوقعه.

نظرت إليه بصمت مطبق وشعرت بأنها غير قادرة على فهم ما قاله.. ثم لمّا فهمت، شدت قبضتيها إلى جنبيها بقوة:

- أنت مثالي في التلاعب بحياة الناس! لماذا أردت أن نلتقي؟

- أردت أن تخرجيه من فكرك إلى الأبد.

سحبت أنفاساً حذرة:

- ألم يخطر ببالك أنني قد لا أرغب في رؤيته؟ وأن مثل هذا اللقاء غير ضروري؟ أكنت تأمل أن أشوه سمعتك؟

رد بفظاظة أمام نار الغضب المشتعلة في عينيها:

- تستنتجين استنتاجات خاطئة.. تتعمدين إيجاد معاني أخرى في قول بسيط وبذلك استنتجت استنتاجاً خاطئاً.

سألت ساخرة: «وهل تراني استنتجت استنتاجاً خاطئاً؟ إن كان هذا صحيحاً فلأنك لم تعطني سبباً لأفكر بشكل مختلف».

- أكاد أفقد صبري معك أماندا!

- ربما.. إنما لماذا كذبت علي؟

- لم أكذب عليك قط.. فإلام تلمحين؟

- ادعيت أن جو متزوج.

- واكتشفت الآن أن المرأة التي كان يعيش معها كانت عشيقته في تلك الأثناء؟ إن من جلب لي تلك المعلومات اعتقد أن من المسلم به أن يكونا زوجين لأنه وجد الشقة مسجلة باسم السيد والسيدة بارسلي. وعندما اكتشفت لاحقاً أن هذا غير صحيح، لم أرَ أن من المهم أن أخبرك لأنك كنت يومئذ زوجتي.

- إذن تركتني على جهلي عامداً متعمداً.. على أي حال نجحت في خدعتك. لقد تزوجتك على أساس هذه المعلومات.. ويا لك من محظوظ.

اسودت عيناه غضباً، وضغطت أصابعه في كتفها فسببت لها ألماً

جسدي رحبت به تقريباً.

- إن ظننتني أحلك من وعدك لتتزوجي جو، فأنت على خطأ.

صاحت، ونظرة قرف على وجهها:

- لا أريد أن أتزوج جو! إنه أكره الناس إلى قلبي والواقع أن سوء حظي قادني إلى اللقاء به!

تحركت يده عن كتفها إلى مؤخرة عنقها: أماندا..

دفعت هذه المداعبة الدموع إلى مآقيها ولكنها أمسكت نفسها، وقالت:

- أرجوك. هناك ما أريد أن أعرفه.

- ما هو؟

أقفلت أماندا عقلها عن العذاب اللذيذ الذي تسببه أصابعه على عنقها.. فلن تستطيع الاسترخاء حتى تعرف الحقيقة.

- لم تكن في الماضي صادقاً معي على الدوام، فكن صادقاً الآن واين.. أرجوك. يجب أن أعرف الحقيقة!

استرخت شفتاه قليلاً: «حسناً سأجيبك بصدق فما سؤالك؟»

- هل في وصية والدك شرط يقول إنك لن تحصل على الإرث إلا إذا أنجبت طفلاً قبل أن تبلغ الأربعين؟

سحب يديه ببطء عنها، أما هي فأمسكت أنفاسها بانتظار رده:

- من قال لك هذا؟

تحركت خطوة مبتعدة عنه:

- ذكر جو ذلك في رسالته.

سأل سؤال سارة نفسه: «وصدقته؟»

- وهل كان أمامي غير التصديق؟ هل هذا صحيح؟

- أجل.. صحيح.

ضجَّ الدم في عروقها وزفرت أنفاسها المحبوسة في رئتيها، وارتدت عنه. بدا صوتها مخنوقاً عندما قالت:

www.elromancia.com

- هذا . . كل ما أريد معرفته .

هرعت إلى غرفة النوم لا تلوي على شيء، لأنها تريد الابتعاد عن هذا الرجل الذي استخدم أقذر سلاح لجرحها . . وفعل هذا غير نادم . . رمت بنفسها على السرير، ووضعت رأسها بين ذراعيها تاركة لدموعها سبيلها . مزق النحيب حنجرتها فاهتز جسدها . جلس واين على الفراش قربها ولكنه لم يحاول لمسها حتى انتهت نوبة البكاء التي تركتها مرهقة .

- أماندا . . أصغي إلي .

نفضت عنها لمسته، وقالت بصوت أجش :

- لا أرغب في سماع المزيد . . لقد سمعت ما فيه الكفاية .

- ستسمعين المزيد رغبت في ذلك أم لم ترغبي . اجلسي . . جففي دموعك . . وأصغي إليّ!

لا جدوى من تجاهل التسلط في صوته . قبضت على خناقها قبضة خوف لأنها تخاف مما ستسمعه . .

وقف إلى جانبها بدون أن يحاول لمسها :

- يجب أن أمددك على ركبتي وأصفعك لأنك أسأت الظن بي . . لكنني لا أستطيع لومك، فلم نكن صادقين مع بعضنا بعضاً في الماضي، وهذا هو سبب سوء التفاهم بيننا . وأنا الملام على هذا، كان عليّ أن أعرف .

عندما ابتعد عنها ليتابع جولته في الغرفة شعرت بأن أنفاسها تكاد تنقطع . . أحست بجفنين ثقيلين، وبقلب أثقل بسبب كثرة الشكوك والارتباك والأمل . إنها لحظة الحقيقة ولكنها تجانبت عنها خوفاً مما قد تسمعه .

قال واين : حينما قلت منذ قليل إن معلومات جو صحيحة، لم أكن صادقاً كل الصدق . . فقد ترك والدي مذكرة في وصيته تقول إن الرجل الذي لا يتزوج قبل الأربعين، لن يتزوج أبداً . . تناقشت معه في وصيته مطولاً قبل وفاته . . إن لم أنجب طفلاً قبل الأربعين، يرث ابن ابن عمي

الأكبر كل شيء . ولكن، بعد مماتي . أما إذا تزوجت بعد سن الأربعين وأنجبت سقط هذا الشرط وورث أولادي بشكل طبيعي .

سحق سيكارته في المنفضة، وارتدّ يواجهها، وعلى وجهه ملامح حزن .

- كان ذلك مجرد احتياط مسبق لإبقاء أعمال العائلة بين أفراد العائلة . وهذا ما كانت تمازحني به نورما دوماً «أسرع وتزوج، وإلا خسرت إرثك» وعلى ما يبدو أن جوناس أخذ هذا على محمل الجد .

عمت نفس أماندا الراحة . . ولكنها لم تستطع فهم العلاقة بين جو ونورما . . ترقرق الدمع في عينيها، وكادت ترمي نفسها بين ذراعيه، لولا معرفتها بأن هناك المزيد لتسمعه :

- سأخبرك قصة نورما . .

دس يديه في جيبيه، والغضب مكبوت تحت تصرفاته، ووقف أمام النافذة وظهره لها :

- كانت شقيقتي نورما صغيرة، في مثل سنك الآن، كانت تعيش حياة هانئة تحيط بها هالة من الحماية الشديدة، وأخشى أنني بعد وفاة والدينا قد أفسدتها دلالاً، إلى حد كبير . في إحدى رحلاتها الدائمة إلى بورث اليزابيت التقت جوناس بارسلي، وشغفت به .

بدأت قطع الأحجية المفقودة تتضح .

أضاف : «وعدها بالدنيا كلها . . ولكنه كان دجّالاً وما زال على حاله . أراد الزواج بها، لكن عندما اكتشف أن زمام محفظتها بيدي حتى تبلغ الخامسة والعشرين، تركها» .

كان في صوته وحشية أفزعتها ومزقت قلبها . . كان يكشف لها عن ذكريات مؤلمة، من الأفضل أن يطويها النسيان .

- لم يمض وقت طويل حتى اكتشفت نورما أنها حامل . فاتصلت بجوناس تتوسل إليه أن يتزوجها ولكنه أوضح أنه لن يتحمل وزر زوجة لا سلطة لها على مالها، أو على طفلها . . بعد ذلك، اختفى بدون أن يترك

www.elromanca.com

أثراً.

ارتدّ، فأدهشها أن ترى المرارة على ذلك الوجه القوي وفي العينين اللتين كانتا تسعيان إلى عينيها في عتمة الغرفة.

ـ لم تتحمل نورما.. وقبل أن أستطيع مساعدتها، دفعت سيارتها فوق السياج في أعلى قمة جبل أوليفت سكوب وذلك في الوقت الذي كنت فيه عائداً إلى المزرعة.. حين وجدت رسالة وداعها كان الوقت قد فات على إنقاذها.

ساد صمت قصير، نظرت فيه أماندا بعيداً، ثم تمتمت مرتجفة: واين.. أنا آسفة.

أكمل، وكأنها لم تقل شيئاً:

ـ رأيت جوناس مجدداً للمرة الأولى يوم لقائي بك في حديقة هذا الفندق.. كانت مصادفة.. ولكن الرغبة في سحقه كانت قد خمدت في نفسي.

اندفعت إليه بحنان:

ـ لماذا لم تشرح لي ذلك يومذاك؟

التوت شفتاه سخرية: «وهل كنت ستصدقينني؟»

غضت طرفها بسبب شعورها بالذنب.

ـ أعتقد هذا.. لكن، ربما تأثرت.

ـ أنت صغيرة وبريئة، وهذا ما ذكرني بنورما. كان عليّ منعك من ارتكاب الغلطة نفسها، لذا تدبرت أمر إبعاد جوناس عنك.. وأمضيت وقتاً مع أبيك حيث تعرفت إليه جيداً ووجدت أن عندنا قلقاً مشتركاً، وهو تورطك مع جوناس الذي لن يقودك إلا إلى الكارثة.

تذكرت أماندا تلك الأمسيات التي قضاها واين مع والدها.. ارتسمت ابتسامة على شفتيها:

ـ وهكذا، خطفتني بمساعدة أبي.

ـ لم أستطع إبعاد جوناس عن بورث اليزابيت إلى وقت غير محدد.

وفي الوقت نفسه كان والدك يعاني من مشاكل كثيرة.. في الواقع، لم يكن لديه خيار في قبول الانتقال إلى «كايب تاون» وأصبح ممزقاً بين تركك بين براثن جوناس، وبين إرغامك على مرافقته.

ـ أنا.. لم أكن أعرف.

فكرت، يا لأبي المسكين.. لا شك أنها صعبت الأمور عليه بسبب رغبتها في البقاء قرب جو الذي هو أقل من غبار تحت حذاء واين.

ـ كان هناك حل وحيد لهذه المشكلة.. كان مدير مزرعتي، فرانس غولدستراند سيأخذ إجازته السنوية، وهذا يعني أنني مضطر لقضاء ذلك الشهر في المزرعة والباقي تعرفينه.

ارتدّ إليها وعلى وجهه تعابير مخيفة، وأحست برغبة في لمس شعره بأصابعها.. لكن، ما زال هناك ما تريد أن تعرفه.

ـ أكان الزواج بي جزءاً من المخطط؟

ـ كنت آمل هذا.

تواجها بصمت حتى خرج من بين شفتيها السؤال الذي كان يعذبها.

ـ واين.. لماذا تزوجتني؟

ـ قبل أن أجيب، سأطرح عليك سؤالاً: أما زلت تكنين شيئاً من المشاعر لجوناس؟

ـ لا! إنه أكره رجل التقيته يوماً!

هز رأسه باكتفاء: «عظيم.. والآن، ما تبقى عائد إليك أماندا».

ـ عائد.. إليّ؟

تلاقت عيونهما فشعرت بأنه يود أن يوصل رسالة، ولكنها خافت أن تستلمها.

ـ واين.. إن لم يكن سبب زواجك بي مجرد إنقاذي من مصير يماثل مصير نورما.. وإن لم يكن السبب وصية والدك.. فـ..

صمتت لأنها كانت غير واثقة من نفسها في تلك اللحظة بحيث لم تستطع التضحية بكبريائها في محاولة لمعرفة الحقيقة.. عندما وجدت

www.elromancia.com

صوتها مجدداً، تخبطت في اعترافها.

- واين. . أحبك. . و. . الله يعرف أنني قد أفعل أي شيء لأجعلك تهتم ولو قليلاً.

- كل ما عليك أن تفعليه هو أن تقولي ثانية إنك تحبينني. . إنه الشيء الذي كنت أنتظره طوال هذا الوقت. . مجرد سماعك تقولين: واين. . أحبك.

في عينيه نظرة حنان من نوع جديد. . قفز قلبها فرحاً فرمت نفسها بين ذراعيه، متوردة الوجه.

- أترين حبيبتي. . لم يمض عليّ وقت طويل حتى اكتشفت أنني أحببتك. . منذ اللحظة التي نظرت إليّ فيها هاتان العينان الرائعتان. . لكنني كنت متكبراً فلم أعترف، والسبب ظني بأنك ما زلت واقعة في حب جوناس.

عانقها بشغف فتعلقت به يائسة تختبر سعادة اجتاحتها بقوة تركتها ضعيفة. في تلك اللحظة فقد كل شيء أهميته إلا معرفتها الأكيدة أنه يحبها. . التعاسة التي لازمتها وقتاً طويلاً تبخرت في ضباب النسيان.

تنهدت بدفء ذائب على صدره:

- واين. . حبيبي. . ما أغباني!

- لا أماندا، يا أعز الناس على قلبي. . ربما كنت مرتبكة قليلاً. . ولكنك لم تكوني غبية قط.

- لقد شككت فيك كثيراً، وأسأت بك الظن.

- سأجعلك تدفعين ثمن ذلك فيما بعد. . والآن أماندا. . يجب أن أعرف. . متى اكتشفت أن جو لا يعني لك شيئاً؟

لامست ابتسامة خبيثة شفتيها:

- قبل وقت على اكتشافي أنني أحبك.

- ومتى كان هذا؟

ارتفع لون جميل إلى وجنتيها، لكنها نظرت إليه بلا تردد.

- يوم تركتني وسافرت منذراً إياي ذاك الإنذار النهائي.

أشرقت أساريره، وقال بسخرية لطيفة:

- آه. . ربما كان عليّ أن أنذرك قبل ذلك الوقت بكثير.

وعادت إلى ذراعيه مجدداً مرتعشة تأثراً، مرحبة بعاصفة المشاعر الثائرة في أعماقها. . كان المطر قد عاد يقرع زجاج النافذة، مع أن الشمس أشرقت في قلبها وأدفأت كيانها. . تحت نافذتهما، أنبتت أشجار الصفصاف الصغيرة أوراقاً جديدة، فتذكرت فجأة رسالة زويا الغريبة. .

همست: «كانت زويا على حق»

عندما دست ذراعيها في سترته تنشقت رائحة عطره ورائحة تبغه ثم تلمست الدفء اللذيذ المتصاعد منه وهي تضغط نفسها عليه:

- حل الربيع في الطبيعة وفيه وجدت سعادتي. . أنت.

- إذن، أخذت ما قالته على محمل الجد على أي حال.

حاولت تجنب شفتيه لمدة أطول:

- أجل. . فعلت هذا. الحب الذي ظننته لجو كان حفنة من ذرات غبار لامعة. . ولم يكن لها كيان أبداً إذ سرعان ما تسللت من بين أصابعي دون أن ألاحظها.

- وكيف تكونين واثقة من حبك لي؟

أبعدته بيديها على صدره، وأحست بضربات قلبه القوية على أصابعها:

- واين. . أحبك حباً جماً جعلني على استعداد للقبول بزواجي رغم علمي أنك ما تزوجتني إلا من أجل الإرث. . وكنت سأفعل المستحيل من أجل زواجنا. . لأنني. . لو تركتك حبيبي. . لفضلت الموت على العيش بدونك.

ولد ابن أماندا في صباح يوم باكر من أيام نيسان، في مزرعة هاوسلي. . حملت الكتلة الوردية اللون بين يديها بذهول رهيب حتى غلبها التعب فاضطرت إلى ترك وليدها الثمين بين يدين قادرتين، يدي

www.elromancia.com

الممرضة التي أحضرها واين لتساعدها حتى تستعيد قواها.

عاد إليها واين بعدما ودع طبيب العائلة، ووقف ينظر إليها نظرة طويلة ملؤها الإخلاص والحب، فكادت الدموع تطفر من عينيها.

تمتم وهو يجلس قربها على السرير يضمها بين ذراعيه:

ـ زوجتي الحبيبة.. مت ألف ميتة في الساعات الأخيرة خوفاً عليك.

احتجت بضعف وسعادة:

ـ مضى الأمر على خير ما يرام. هل أنت سعيد بابنك؟

قال بصوت متذبذب بالمشاعر، وهو يمرر أصابعه بحب على قسمات وجهها:

ـ سعادتي كاملة في هذه اللحظات حبيبتي. لقد منحتني أكثر مما كنت أحلم به.

ارتدت إليه، ولفت ذراعيها حول عنقه:

ـ أحبك كثيراً واين.

همس بعد عناق طويل:

ـ حبيبتي.. يجب أن أعتاد الآن على من يشاركني حبك.

ضحكت بعذوبة وهي تشد رأسه نحو رأسها:

ـ زوجي.. حبي.. حياتي.. سأكون دائماً معك حين تحتاج إليّ.

أحست بدفء شفتيه على رأسها. فتنهدت تنهيدة رضى واكتفاء، ونامت بين ذراعيه، وهي تعرف أن أحلامها ستتحقق مع مباهج هذا الحب، الحب الذي وجد صداه دائماً في قلبها!

***

www.elromansia.com